كتاب
الثقافة الإسلامية
١٩
مصابيح
البيت المحمدي
(عليهم السلام)
الشاعر
محمد عباس علي

شعر

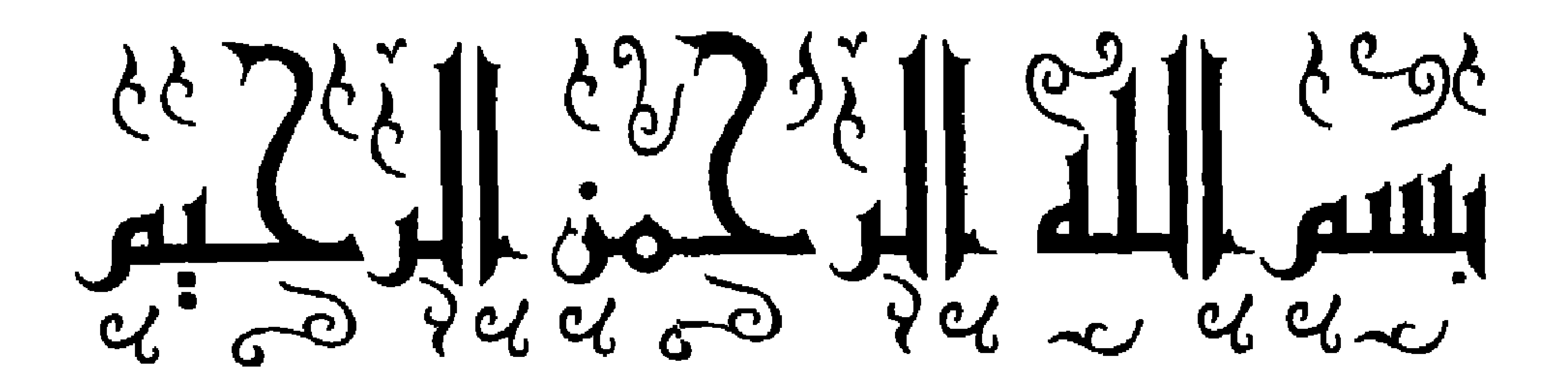


عليهم السّلام

محمّد عبّاس علي

من منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق

١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م



الكتاب : مصابيح البيت المحمدي / شعر .
المؤلف : الأستاذ محمد عباس علي.
عدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة ـ الطبعة الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
الناشر : المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق.
تصميم الغلاف : لبيب صندوق

عنوان المستشارية: دمشق ـ المرجة ـ ص.ب ٩٣٥١
هاتف: ٢٣١١١٥١/٢٣١١١٤٩ ـ فاكس: ٢٣١١١٤٧

مقدمة

اعتادت المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في سورية على تكريم الأدب الهادف والأدباء الملتزمين الذين يسخِّرون أقلامهم في سبيل خدمة الأهداف الرسالية والنهج المحمدي الأصيل.. فمن هنا جاء تكريمنا للشعر الملتزم الذي قدّمه الشاعر الأستاذ «محمد عباس علي» في مناسبات عديدة، من مناسبات آل بيت رسول الله(ص)، وذلك من خلال طباعته ونشره في سلسلة كتاب (الثقافة الإسلامية) بجزئه التاسع عشر.

وقد جعل قصائده تلك في مجموعة شعرية غنية ببيانها، وتبيانها .. كما زيّلها بالكثير من الأفكار والمعلومات التي أضحت بمثابة أضواء كاشفة لما تضمنته من مفردات ومعان، ثم اختار لها عنوان «مصابيح البيت المحمدي».

وبالمناسبة .. فقد ألقيت أربع قصائد منها في أنشطة ثقافية أو مؤتمرات إقليمية أقامتها المستشارية بدمشق، من بين أنشطتها الثقافية المتعددة.. وكانت تلك القصائد محط إعجاب الحضور الذين رغبوا في الحصول على نسخ منها. وربما كان هذا جانباً من دافعنا لطباعتها ووضعها بين أيدي الجمهور الكريم، ومحبي الثقافة والشعر بشكل عام، ناهيك عن قيمتها الولائية والتزامها بآل البيت (عليهم السلام).

ندعو من الله جلّ وعلا لشاعرنا الملتزم الأستاذ «محمد عباس علي» كل التوفيق والتسديد في النهج الذي نذر نفسه للسير فيه طمعاً في شفاعة أهل البيت (عليهم السلام) وهم المصابيح التي تنير الدرب للمسلمين.. والله من وراء القصد.

المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية

في سورية

كلمة لك :

لقد بلغ الظنُّ ببعضهم ، ممَّن سمعوا أو قرأوا قصائدي في آل البيت عليهم السّلام ، أنْ شافَهَني ، أو رحَّب بي قائلاً : " **أهلا بشاعر أهل البيت** " .

ورغم أنّي أعترف مسبقاً أنّه (ظنٌّ) فقد كنتُ أشمُّ منه عَبَقَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ الذي تتطلّع إليه النفوسُ العاشقةِ نواصي المجد .

ولأنه لايُبْنَى على الظنِّ حساب ، ولا يُعْلى عليه مقام ، فقد رأيتُ أنْ أشاركَكَ - صديقي القاريء - بالرأي ، فتشركني بالنصيحة ، بعد أن جمعتُ لكَ هذه القصائدَ في جزئها الأول خالصةً مُخْلَصَة لوجه أصحابها (حيث اقتطفتُ منها مايُرْفَعُ إلى مقامهم الرفيع ، وبقيت كاملة في مكان نشرها) ، وجعلته تحت عنوان (**مصابيح البيت المحمَّدي**) لتكونَ على بيِّنةٍ من اطّلاعك وتقريك ، فتحكم بموضوعية : لها أم عليها ، وبالتالي أين أنا من ذلك ؟

والمهمّ أن نصل بالنتيجة إلى رأي موحَّد مفادُهُ : أنَّ لغةَ العِشْق يشهدُ لها نبْضُها .. وأحْسَبُنِي سلفاً قد فعلت . محتسَباً أجري على الله ، ومحبَّتَكَ لي - عزيزي القاريء - وقبولَك لما أقدِّمُه لك .

والله من وراء القصد .

محمّد



في ذكرى المولد النبوي الشـريف
القرداحة
ربيع أول (١٤١٧) هـ
تموز (١٩٩٦) م

مواسمَ الله

يابَسْمَةَ النُّورِ .. لاكَالنُّورِ إنْ بَسَـــمَا

وكلَّلَ الأُفْقَ بالإشْــرَاقِ .. واتَّسَمَا

يَزْهُو بها الكونُ : رَيَّاناً ، وَمُخْتَضِلاً

ففي حناياهُ : عِشْقُ الباسِمَات نَمَا

وَثَمَّ نائِــرَةٌ ظَلَّتْ تُعَاوِدُنَـــــــا

مِنْ بَدْء إيجادِنَا .. هَدْياً وَمرتحما

هيَ النُبُوَّةُ .. في عوداتـــِها : نِعَمُ

مواسِـــمُ اللّهِ .. تُزْجَى كلُّها نِعَمَا

تَسْمُو بها حِقَبُ ، باتَتْ مَحَافِلُها

وَقْفاً على دَعْوَةٍ تختصُّها ، وحِمَى

وما بقاءُ ضُحى التاريـخ : مزدهياً

لولا النُّبُوّات ، راحت تَمْحَقُ الظُّلَمَا

ففي النُّبُوّاتِ : عِطْرُ اللِه مُنْسَكِبُ

يظلُّ في كوثر الآيـــــــاتِ : مُندغما

أَطلَّ آخـــــــرُها عَهْداً أُنِيطَ بها

ضَمَّ الرِّسَـــــــالاتِ .. توحيداً ومُخْتَتَمَا

عَهْدٌ .. أَنَدُّ مــن الإصباح موعدُهُ

فيما تســـمَّى ربيـــعاً أوّلاً .. وَسَـــمَا

أَذِّنْ بلالُ .. فو [أللّهُ أكبُر] هـا

جاء البشـــــيرُ – وكان المولدَ – الحُلُما

أَذِّنْ بلالُ .. وشَـــنِّفْ سَمْعَ باديةٍ

مـــــن الحجاز .. وغَشٍّ البَانَ ، والعَلَمَا

أَذِّنْ بلالُ .. وَقُلْ : تَبَّتْ أَبَا لَهَبٍ

يَدَاكَ .. لم يُغْـــــــنِ ماتَجْتَرُّهُ نَدَمَا

تعلو المآذنُ ، والإســـلامُ منشرحٌ

وأنتَ تقضُمُ ، والحمَّالـــةَ : اللُّجُمَا

أَذِّنْ بِلالُ .. فـلا واللهِ ماانقطعت

نعماؤُهُ .. طالما هــذا الصَّدَى انتظما

* * *

فجرٌ مِــن النُّورِ والإيمان .. مولدُه

فهل أتاكَ بما قَدْ هاشـــمٌ هَشَمَا ؟

أَمْ هدهدتْكَ مُنَىً مِــنْ عَبْدَ مُطَّلَبٍ

في جبهةِ الطفلِ – يرعى المأمل – العَلَمَا ؟

فشـــيبةُ الحمدِ : كفَّالُ مُحَمَّدَهُ

حتَّى الثمانيَــن .. يُغليه .. وقد كتما

وسلَّمَ الحِرْزَ .. عن حبٍّ ، وعن رَغَبٍ

إلى أبي طالبٍ .. فاهتمَّ ، واســتلما

فَذَبَّ عنه .. ولا الأجفانُ عــن بَصَرٍ

أليسَ أغلى ﷺ بلى أغلى .. وألفِ سَمَـ

أمَّا قريشُ .. وقد ماجت ســواحلُها

مِمَّا تَجَيَّشَ فِي اللُّجَّاتِ .. واحتدما

تَصطكُّ قارحةً أســــنانُها .. حَنَقاً

ترتـــــجُّ مِمَّا توالى زاحفاً .. قُدُمَا

زَحْفٌ إلى الهَدْي بالتوحيد .. ملتزِمٌ

يابارك اللهُ هـــذا الزَّحْفَ ملتزما

لكنْ قريشُ .. وقـــد باتتْ زعامتُها

عَرْشاً من الزَّعْمِ مهزوماً ، ومنهدما

إسْتَيْأَسَـــــتْ بعد إخفاق تَذَهُّلَها

وهل تُدَبِّرُ إلاَّ السَّـــيْفَ مُنْتَقِمَا ؟؟

فأجمعَتْ رأْيَها : سَـــيْفاً وضاربةً

لكنَّما خيَّـــبَ الفَدَّاءُ .. أمْرَهُمَا

فَذَا عليٌّ – كما قـــد كان والدُهُ –

يحمي النَّبِيَّ .. ويفديه بما عَظُمَا

زكا الفِراشُ بـــه : نَوْماً وتضحيةً

فظلّ فضْلاً على الإسْـــلام ماسلما

* * *

ياسيِّدي .. يارسولَ اللهِ .. كَمْ كَرُمَتْ

فيكَ الرسالةُ !! والإسلامُ كَمْ كَرُمَا !!

وكَمْ شَرُفْنَا لســـاناً حينما انسكبتْ

آياتُ ربِّكَ فيـــه !! واغتدى سَنَمَا

توحَّدَتْ قِبلَةُ الإسْـــلام في حَرَمٍ

أَعْظِمْ بها قِبْلَةً !! أَعْظِمْ بها حَرَمَا !!

أَنَرْتَ ماأظلمَ الجهلُ المقيتُ ، ومـا

قد كان مـــن ظُلَمٍ للجاهلينَ .. وما ..

أَزَحْتَ عن كاهل الإنسان : مَوْطَأَةً

للجاهليّةِ .. كانَتْ سُـــبّةً ، وَعَمَى

ياللتّسامي .. بما رسَّخْتَ من قِيَمٍ !!

تفجَّرَتْ في دُنَى أخلاقنا : قِيـــمَا

تقمَّصَتْ روحَ إنســــانيَّةٍ وبدتْ

بها الحنيفيَّةُ السَّمحاءُ : مُرْتسما

وقلتَ : لافَرْقَ إلاَّ بالتُّقَى شَــرَفاً

أكان ذا عرباً .. أم كان ذا عجما

* * *

ياسيِّدي .. ياأبا الزهراء .. بي ثقةٌ

مَن قد تحاماك في دعوائه : سلما

* * *

يا صاحب النهى

ألقيت في الأسبوع الثقافي السُّوري
(في طهران)
المقام ضمن فعاليـــــات مؤتمر
(حوار الحضارات)
(١٤٢٢) هـ
(٢٠٠١) م

ياصاحبَ النَّهج

الحقُّ ، والعدلُ في منهاجـــكَ الجَلَلِ

ياصاحبَ النَّهْجِ .. ياربَّ البيان : علي

نهْجِ البلاغةِ .. أو قُــلْ : ألْفُ مكتبةٍ .

مـــن نورٍ .. للأعظمَيْنِ : العِلمِ والعَمَلِ

وليس في كُبريات التســـميات .. كما

(نهج البلاغة) .. إســـمُ غيرُ مُبْتَذَلِ

ياصاحبَ النَّهْجِ ، شعري صُغْتُ أحرفَهُ

مـــــن خافقي .. ليقومَ العُذْرُ بالعَذَلِ

مَنْ رامَ فيـــــك مقالاً : باتَ مُمْتَحَناً

وهـــــل يُوَفَّى بديعُ النَّهْجِ في جُمَلِ ؟

فكلُّ مَدْحٍ سـيخبو وهجُ جَذْوَتِهِ

أَمَامَ إشـراقةِ الإبداعِ ، والشُّعَلِ

وإذْ أُحاولُ ، رغـمَ الإمتحانِ .. فَذا

من خاطري : كنجاوى القاعِ للقُلَلِ

جهدُ المقلّ .. وحسبي في مُجاهدتي :

لكَ الجَمَالُ .. وما يبقى : فذلكَ لي

تباركَ الحبُّ : شـفَّاعاَ لذي زَلَلٍ

فيما سعى .. طَمَعاً بالعفوِ عـنْ زَلَلِ

* * *

قالوا عنِ النَّهْجِ .. مالم يَنْحَصِرْ عَدَداً

لعلَّ أفضلَهُ : ماجلَّ عـن جَدَلِ : (١)

بأنَّـهُ فوْقَ قوْلِ الخَلْقِ قاطبةً

وإنَّما دون قولِ الخالـقِ الأزَلِ

فيه منابـعُ توحيدٍ .. ومعرفةٌ

تحرِّرُ العقلَ من جهلٍ ، ومِنْ علَلِ

يحضُّ في منطقٍ .. إخلاصُهُ : عَبَقٌ
مِـــنْ صِدْقِ مِقْوَلِهِ .. في رَيِّقٍ خَضِلِ
وذي أضاميمُ نُصْحٍ مِـــــنْ بداهتهِ
كأنَّها فُصِّلَتْ آيـــــــاتِ مُخْتَزَلِ :
- إيَّاكَ والأمَلَ الموصولَ في أجَـــــلٍ
وَحَبِّذِ العملَ المشـــــــفوعَ بالأمَلِ
- أَقْبِل على اللهِ مظلوماً : تجدْ صِلَةً
وإن ظلَمْـــــــتَ فلن تحظى بمتّصَلِ
- وإن رأيتَ فقيراً : فاغتنمْ ســـبباً
حَمِّلْهُ زادَكَ للأخرى .. ولا تَسَـــــلِ
- وما كسبتَ مِنَ الأموالِ ، تخزنُها
لغيـــــركَ المالُ .. بعد الكَدِّ والكَلَلِ
- والحبُّ في الله : دربٌ للوصول لَهُ
ومَنْ أتَى غيرَ دَرْبِ الحبِّ : لَمْ يَصِلِ

هذي نماذجُ إشـــــراقاتِ حكمتِهِ

كانتْ مَنَارةَ أجيـــــالٍ .. ولم تَزَلِ

وسوف تبقى وإن طـال الزمان بها

كما بداياتـــــــُها في الأعْصُرِ الأُوَلِ

* * *

ياصاحبَ النَّهْجِ .. يامَنْ كَانَ وَاصِفُهُ

كقابضِ الرِّيــحِ .. أو غادٍ إلى زُحَلِ

وُلِدْتَ في داخلِ البيتِ الحرَامِ .. وذَا

تفرُّدٌ في اصطفاء خالـــــــصٍ نُزُلِ (٢)

فتَّحتَ عينيْكَ في جـــــوٍّ تُعَطِّرُهُ

رسالةُ المصطفى .. بلْ خاتَـمِ الرُّسُـلِ

فكنتَ أوَّلَ مَـــــنْ أعلى شـهادتَهُ

وهدهد الوحيُ قلباً شـــبَّ في عَجَلِ (٣)

ونُمْتَ في مَكْمَـــنٍ للموتِ .. جهَّزَهُ

أبو الجهالةِ .. لكنْ بَاءَ بالفَشَـــــلِ (٤)

تُجَنْدِلُ الشُّرْكَ كلَّ الشـركِ ، يتبعهُ

حصنُ اليهودِ ، وفي صفِّيـــنَ والجَمَلِ (٥)

كأنّما جئتَ للإسْـــــــلامِ مُدَّرَعاً

تذبُّ عنه ســــوافي الجهل والخَطَلِ

لم تبتدرْ واحـــداً للإقتتال .. ولْم

ترتدَّ عمَّا دعاك الخصمُ مِــــنْ وَجَلِ

كنتَ الشُّجاعَ الذي لم يَنْحُ نازعُهُ

إلاَّ إلى الحقِّ .. لم تحنَفْ ، ولم تَمِلِ

ومَنْ سِوَاكَ تحاماهُ وجَسَّــــدهُ ؟

فظلَّ كالصَّفْحةِ البيـــضاءِ ، والْمُقَلِ

وللفروســــيَّةِ العرباءِ : نخوتُها

تزكو التماعاً بعيـــن الفارسِ البَطَلِ

وكم تجلَّتْ سُــمُوّاً فيكَ غايتُهَا

أيَّـــاً تكونُ صروفُ الحادثِ الجَلَلِ

تعفُّ عنْ مَغْنَمٍ ، لَمْ تهتبلْ فُرَصاً

ولَمْ تشـأْ تغلبُ الأخْصَامَ في حِيَلِ

وذا لعمريَ من أخلاقِنا شَـــرَفٌ

أضَفْتَهُ لِمَعاني (صالـحِ العملِ)

* * *

نفسي فِدَاءُ رسولِ اللّهِ .. مرتجلاً

يزفُّ فحوى بلاغٍ غيـــرِ مُرْتَجَلِ

أمْرٌ عَــــنِ اللّهِ .. محكومٌ بآيتِهِ

(بَلِّغْ) فإنَّ عليّاً للمسلمين : وَلِي

في بيعةٍ لعليٍّ قامَ صادِحُــــهَا

مُبَلِّغاً كُلَّ ذي حِــــلٍّ ، ومرتَحَلِ (٦)

ولايةٌ .. صارَ فيها العهدُ مكتملاً

لولا الولايةُ أمســـى غيرَ مكتَمِلِ

راقَ الغديرُ .. وندَّى الدَّوحُ مُنْتَشِياً

مِمَّا تأرَّج مِنْ فَوْحٍ .. ومِــــنْ بَلَلِ

وما تماوجَ مِنْ بَوْحٍ ، ومِـــنْ فَرَحٍ

للمؤمنينَ .. ومِـــنْ تبريك محتَفِلِ

لَمَّا الحجيجُ تنادوا في مواكبـــــةٍ

يباركون الـــــــذي قد تمَّ للرَّجُلِ

وكيف لا ؟ وعليٌّ عبر ســـيرتِهِ

ظلَّ الأمينَ على الإسْـــلامِ والْمُثُلِ

مَنْ كان منه رسولُ اللهِ ، وهْوَ لَهُ

كما لهارونَ مِنْ موسى .. عَلى مَثَلِ

ولو سألنا ملاكاً عـــــن بلاغتِهِ

لكانَ منه جوابٌ واضِحٌ .. وجَلِي :

إمامُ كلِّ بليغٍ .. نابغٍ .. حَصِفٍ

وســـــيِّدُ البُلغاءِ البالغينَ : علي

* * *

---

(١) – قالوا عن النهج :

– لايُجَارَى في الفصاحة ، ولا يُبَارى في البلاغة .

– هو البحرُ الذي لايُساجَل ، والجمُّ الذي لايُحَافَل .
– كلامُه فوق كلام المخلوقين ، لكن دون كلام الخالِق .
وعن محفن بن أبي محفن حين جاء معاوية ، وقالوا له : جئتك من عند أعيا الناس ، فقال معاوية : ويحَكَ كيف يكون أعيا الناس ؟؟ فوالله ماسنَّ الفصاحة لقريش غيره .
[أعيان الشيعة – مجلّد ١ – ص٣٤١] .
وأخيراً : ماقاله الإمام محمَّد عبده شيخ الأزهر الشريف : هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيِّه .
[مقدمة شرح النهج للإمام محمَّد عبده] .

***

(٢) – مولده في الكعبة :
– ورد في الإصابة ، والفصول المهمَّة لابن الصبّاغ المالكيّ ، ومروج الذهب للمسعودي ، وإرشاد المفيد ، والسيرة الحلبيَّة لابن برهان الدين الشافعيّ : (أنَّ عليّاً وُلِد في الكعبة) .
– وزاد المفيد : لم يُولَد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله .
– وما ألطف ماكتب العقّاد في فقرة إسلامه ممَّا هو مثبتٌ في مقدّمة العقاد على النهج الشريف [طباعة دار التعارف – بيروت – ص٥٥] حيث قال : " وُلِد عليّ في الكعبة ، وكرَّم الله وجهه عن السجود لأصنامها ، فكأنَّما كان ميلاده إيذاناً بعهدٍ جديد للكعبة والعبادة بها ، وكاد عليٌّ أن يُولَد مسلماً ، بل لقد وُلِد مسلماً على التحقيق "

***

(٣) – إعلاؤه الشهادة :
ماأكثر مَن روى ذلك ، ولكن يبقى الأفضل لما رواه بنفسه وأعلنه في أواخر خطبته الشهيرة " بالقاصعة " :

وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حِجْرِهِ وأنا وليدٌ يضمّني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشه ... إلى أن يقولَ : ولقد كان يجاور في كلِّ سنةٍ بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله (ص) وآله وخديجة ، وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمٌّ ريح النبوّة .
– أسلمت قبل إسلام الناس ، وصليتُ قبل صلاتهم .

[خطبة القاصعة]

***

(٤) – نومه في فراشه :

وهو ماأجمع عليه الرواة ، على مختلف مذاهبهم ومشاربهم ، ولم يدّعِهِ أحدٌ غيره .

***

(٥) – الحصن :

وكان إسمه الحصن القموص ، أعظم حصون خيبر ، وقد خندقوا حوله ممّا تعلّموه من وقعة الأحزاب .
وقد روى ابن هشام والطبري وغيرهما عن أبي رافع مولى رسول الله (ص) وآله قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله (ص) وآله برايته ، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجلٌ من اليهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن ، وتترّس به عن نفسه ، ولم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ .
وقد رأيتني في نفرٍ زيد على العشرين ، نجهد على أن نقلب ذاك الباب فما نقلبه .

(٦) – البيعة للإمام عليٍّ :

وهو هنا حديث الغدير ، الأشهر والأكبر من أن يُذكر بحاشية كهذه ، حيث أُلِّفَت فيه الكتب التي لاتحصى ، وأقيمت حوله الندوات والمناظرات بما لايُعدّ ، والذي حصل بعد حجّة الوداع ، ونزول قوله تعالى في آية عرفت بـ (آية التبليغ) مطلعها : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (٦٧) المائدة ﴾ .

ولذلك سأكتفي هنا بما قاله شاعر الرسول (ص) وآله حسّان بن ثابت الذي استأذن النبيَّ لِيُهنيء عليّاً بعد مبايعة الرسول له بقوله (ص) وآله : (فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللهمَّ والِ مَن موالاه ، وعادِ مَن عاداه ...) .

ودخل حسّان إلى خيمة عليٍّ (وذلك بعد دخول كبار الصحابة وأفواج المسلمين فوجاً فوجاً لتهنئته بهذا المقام) وقال حسّان يصف الحادثة بدقة :

يناديهمُ يومَ الغدير نبيُّهُم ... بخمٍّ ، وأسمعْ بالنبيِّ مناديا
وقال لـه : قمْ ياعليُّ فإنني ... رضيتكَ من بعدي إماما وهاديا
فمَن كنتُ مولاه : فهذا وليُّه ... فكونوا لـه أنصار صِدق مواليا
هناك دعا : اللهمَّ والِ وليَّه ... وكنْ للذي عادى عليّاً مُعاديا

فقال له الرسول (ص) وآله: لا تزال يا حسّان مؤيَّداً بروح القدس، مانصرتنا بلسانك .

ويعلِّق الفقهاء على هذا الإشتراط من النبيِّ على حسّان : (مانصرتنا بلسانك) لعلمه بعاقبة أموره في الخلاف مع عليّ ، لأنه صار عثماني الهوى .

[أعيان الشعية – للسيِّد محسن الأمين – م١ – ص٤٢٠]



عليهم السّلام

بمناسبة انعقـاد المؤتمـر الإقليمـي
للمرأة المسلمة وولادة السيدة الزهراء (ع)
الذي أقامته المستشارية الثقافية
للجمهورية الإسلامية الإيرانية فـي سورية
دمشق – المركز الثقافي العربي
(٢١) جمادى الثانية (١٤٢٤) هـ
الموافق (١٩) آب (٢٠٠٣) م

إلى الإسم العظيم الذي تفردَّت به سيِّدَتُنَا فاطمةٌ (ع) *

فكانت " زهراء " آل البيت (عليهم السّلام)

إسْمٌ .. تُمَجِّدُ قُدْسَـــــهُ الأَرْجَاءُ
وَتَهُبُّ تَنْهَبُ عِطْرَهُ الأَجْـــواءُ

أَهْدَتْ جنَانُ الخُلْدِ : فَوْحَ مَلابـــهِ
مِـــنْ رَوْحِهَا .. وَتَأَنَّقَ الإهْداءُ

إســـمٌ .. تَفَطَّرَتِ القُلُوبُ لِرَجْعِهِ
وتبارَكَتْ مِنْ طَهْرِهِ الأَسْـــماءُ

وازدادَ وَهْجاً حيـن قال المصطفى :
هِيَ بَضْعَةٌ مِـــنْ خافقي غَرَّاءُ (١)

هل قلتُ فاطمة ؟؟ وينهَلُّ السَـــنا
وَترفُّ في كبدِ السَّـــمَاء زُكاءُ

(*) – حول الإسم العظيم الذي تفرَّدت به سيِّدتنا فاطمة (ع) ، [وفاطم : ترخيم
قال الفيروز آبادي : إنّ النبيّ (ص) قال لفاطمة شقّ الله لكِ يافاطمة إسما من أسمائ
فهو الفاطر وأنت فاطمة .
[بحار الأنوار – مجلد ٤٣ – ص١٥] ، وهذا لم يحصل لغيرها ، فكان تفرّدا .

أَمْ قُلْتُ زَهْراءُ ؟؟ وَشَـــعَّتْ أَنْجمٌ
زُهْرٌ .. وطافَ على الوجود ضِيَاءُ
وَنَعَمْ .. هما إسمانِ .. في صِفَتَيْهِمَا
تِلك المجيدَةُ : فَاطِـــمُ الزَّهْراءُ
زَهْرَاءُ فَاطِمَةُ النبيِّ .. تَأَلَّقَـــتْ
بِحُرُوفِـــــها : الآلاءُ واللألاءُ (٢)
زهراءُ .. تُزْهِرُ في النهار كشـــمسِهِ
لِدخولِهَا المِحْرَابِ .. حيثُ يُضَاءُ (٣)
قَرَّتْ بِها نَفْسُ النبـــــيِّ مُحمَّدٍ
فهـي البَتُولُ ، الحُرَّةُ ، الحَوْرَاءُ
ولـها انتصارُ اللهِ .. يَدْحَضُ حُجَّةً
مِنْ شَانيءٍ شَـــالَتْ بِهِ الغُلَوَاءُ
إذْ قالَ : ﴿ أَعْطَيْنَاكَ ﴾ مِنَّا كَوْثَراً
وَهُـــوَ اصْطِفَاءٌ خَالِصٌ .. وَثَنَاءُ (٤)

لِتكونَ : سَـيِّدَةَ النِّساءِ .. وَلا فتىً

إلاَّ عَلِيٌّ الكُفءُ .. وَهْـــوَ قَضَاءُ (٥)

يَتَلاقِيان : نُبوَّةً ، وَإِمَامــــــــةً

وَيَضُوعُ مِـــنْ عِطْرَيْهِمَا : الأَبْنَاءُ

هَذِي – وَرَبِّكَ – حِكْمَةٌ عُلْوِيَّـــةٌ

إمَّا تَشَـــاءُ : تُقَدَّرُ الأَشْـــيَاءُ

* * *

يامُصْطَفاةَ الْمُصْطَفى .. ياغُـــــــرَّةً

حَسَـــدَتْ سُمُوَّ عَلائِكِ العَلْيَاءُ

يَرْضَى .. إِذَا تَرْضِينَ ، وَهْيَ خَصِيصَةٌ

وكذاك يَغْضَبُ .. هَمُّهُ الإِرْضَـاءُ (٦)

أَشْرَقْتِ : فَاصْطُبِغَ الشُّـــرُوقُ بِمَظْهَرٍ

ماكانَ قَبْلُ .. ولمْ تُرَ السِّـيمَاءُ

وَبَدَوْتِ فَيْضاً مِـــــــنْ ضِياء غامِرٍ

فمَضَتْ تُهَلِّلُ فَيْضَكِ : الأَضْـوَاءُ

وَصِفَاتُكِ الحســـــنى : تَأنَّق لَفْظُهَا

فإذا العِبَارَةُ : رِقَّـــةٌ ، وصَفَاءُ

وزَهَـــتْ بِكِ الألقَابُ ، وَهْيَ حَدِيقَةٌ

مِنْ حَوْلِ شَخْصِكِ : ثَرَّةٌ ، غَنَّاءُ (٧)

أُمُّ الأَئِمَّةِ .. وَالبَتُولُ ، وَنَسْـــــلَةُ

مَيْمُونَةٌ .. صِدّيقَةٌ .. حَـــوْرَاءُ

أَنَّى لِغيركِ بعضُ بعضِ جَلالِـــهَا ؟

وَمَنَارُ أدْنى دَوْحِـــهَا : الجَوْزَاءُ

هَذا التفرُّدُ قدْ بَدا مِـــــنْ أَحْمَدٍ

لَكَأنّهُ : أَلِفٌ .. وَأَنْتِ : البَـاءُ

* * *

مَولاتَنَا .. جَـاءَ اصْطِفَاؤُكِ : صُورَةً

غَنِيَتْ بِزَهْـــوِ بَهَائِهَا : حَوَّاءُ

وَرَنَــتْ خَدِيجَةُ أُمُّكِ الكُبْرَى ، إلى

هذا البَهَاءِ : فَطَالَهَا اسْـــتِعْلاءُ

أَشْبَهْتِ وَالِدَكِ الْمُعَظَّمَ : مِشْـــيَةً

وَزَهَتْ عَلَيْكِ مَحَاسِـنٌ ، وَحَيَاءُ (٨)

فإذا نَطَقْتِ : فدونَ أَحْرُفُكِ الشَّذَى

في مِقْوَلٍ .. طَرِبَتْ لَـهُ الفُصَحَاءُ

وإذا فَرَغْـــتِ إلى صَلاتِكِ لَيْلةً :

أَجْلى عَمُودَ الصُّبْحِ مِنْكِ : دُعَاءُ

أَمَّا .. وقَـــدْ آنَتْ قُطُوفُ مَلاحَةٍ

دانَتْ لِجَبَّار السَّـــمَا : الآرَاءُ

فَتَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ قولِ مَلائـــكٍ :

[إنَّ الزَّوَاجَ مِنَ السَّمَاءِ : قَضَاءُ] (٩)

[لاصِنْوَ لِلزَّهْرَاءِ ، إلاَّ سَـــيِّدٌ

مِنْ هَاشِمٍ .. شَهِدَتْ لهُ الأُمَرَاءُ]

[لاسَيْفَ إلاَّ ذُو الفَقَار .. ولا فَتىً

إلاَّ عَلِيٌّ .. وَحَصْرُهُ : اسْتِثْنَاءُ]

[فَدَّى النَّبِيَّ بِنَفْسِه .. مُسْـتَصْغِراً
هَــوْلَ الحِمَامِ .. فَبُورِكَ الفَدَّاءُ]
وَتَنَثَّرَتْ أوراقُ سُــدْرَةِ مُنْتهَى الْـ
عَرْشِ الذي أَرْسـى بِهِ الإسْرَاءُ : (١٠)
دُرّاً ، ويَاقُوتاً .. وَثَمَّ سَــــحَابَةٌ
ثَقُلَتْ بِما حَمَلَتْ حَلَىً .. بَيْضَاءُ
تَهْمِي .. فَتَنْطُفُ : لُؤْلُؤاً ، وَزَبُرْجُداً
وَيَنِدُّ رَوْضٌ .. زَهْرُهُ : آيَـــاءُ
وَضَمَائِمٌ .. رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ، بِــــها
وسَنَابِلٌ – مِــنْ جَنَّةٍ – خَضْرَاءُ
نِعْمَ الجِهَازُ ! ! مُهَيَّئاً مِــــنْ عَالَمٍ
هُوَ لِلمَلائِكِ : مَوْطِنٌ ، وَوِطَاءُ
صَدَقَتْ مَقُولَةُ شَــــــاعِرٍ مُتَقَدِّمٍ
(إنَّ العَظَائِـمَ كُفْؤُهَا العُظَمَاءُ)

* * *

وأَتَتْكِ نِسْـــــوَةُ آلِ بَيْتِ مُحمَّدٍ

يَرْجَزْنَ .. فيما يَرْجُزُ السُّـــعَدَاءُ (١١)

في مَوْكِـــبٍ خَلْفَ النَّبِيِّ .. مُؤَنَّقٍ

يُعْلَى لهُ فوقَ الرِّمَـــاحِ : لِـوَاءُ

فَأَبـو الفَوَارِسِ : حَمْزَةٌ ، أو جَعْفرٌ

وكذا عَقِيلُ .. وَتِلْكُمُ القُرَبَـــاءُ

للّهِ رَوْعةُ مَوْكبٍ !! يمشـــــي بهِ

آلُ النَّبِيِّ .. وَصَحْبُــهُ الخُلَصَاءُ

وبَرَزْتِ .. كَالصُّبْحِ المُنِيرِ : وَضَاءَةً

في هَالَـــــةٍ تُجْلَى بِهَا الظَّلْمَاءُ

فإذا الخَلاَئِقُ ، وَالملاَئِـكُ .. رَدَّدُوا

اللهَ .. مَاأَبْهَاكِ يازَهْـــــرَاءُ !!

وأبو تُرَابٍ ، حَيْـــــدَرٌ : مُتَنَظِّرٌ

وَلِمِثْلِ قَـــدْرِكِ : كَمْ يَعُزُّ لِقَاءُ ؟!

بَحْرَانِ .. تَلْتَقِيَانِ في مَسْـــــراكُمَا

فتَوَجَّـــــب الإفْرَاجُ ، وَالإبْدَاءُ (١٢)

أَهْدَيْتُمَا سَـــــاحَ الوجُودِ أَئِمَّةً

وَهُـــمُ الهُدَاةُ ، السَّادَةُ ، النُّجَبَاءُ

وَنِعِمْتُمَا .. بِرِعَايـــــــةٍ نَبَوِيَّةٍ

دِيـــناً ، ودُنْيَا .. وَانْتَفَى النُّظَرَاءُ

* * *

يَالَلثَّمَانِي عَشْرةً قَدْ عِشْـــــتِهَا

عُمْراً تَقَصَّرَ .. واسْتَــطالَ عَنَاءُ ! ! (١٣)

لَكِنْ .. إذا ماعِشْتِ في زَمَنٍ مضى

فَلأنتِ في كُلِّ الزمــــانِ : وَلاءُ

أُمٌّ ، لِمَنْ عَشِقَ الحقيقةَ ، مُنْجَبٌ

أو مُحْتَوىً .. تَهْفُو لَـــهُ الحُنَفَاءُ

وسِـــــفَارَةٌ .. صارَتْ مَنَارَةَ عَالَمٍ

أبناؤهَا : الرُّبَّانُ وَالسُّفَـــــــرَاءُ

وَقُبَيْلَ مَاقُبِضَ الرَّسُولُ .. تَحَصّلَتْ

لَكِ مِنْهُ حَادِثَةٌ .. ﴿ وَغِيضَ الماءُ ﴾ (١٤)

أَفْضَى إِلَيْكِ المصطفى : سِرّاً .. فَعَا

جَلَكِ السُّـــقَامُ .. وكانَ مِنْكِ بُكَاءُ

لَكِنَّهُ .. أَفْضى إِلَيـــــكِ بِغَيْرِه :

فَسُرِرْتِ .. وَاعْتَمَرَ الشِّـــفَاهَ ثَنَاءُ

سِرٌّ اللِّحَاقِ به ، وتِلْكَ بَشَـــــارَةٌ

أَفْضَى بِهَا .. وتَعَاظَمَ الإِفْضَاءُ ! !

وغَدَوْتِ منْ بعدِ الليالي الأَرْبَعِيـــــ

ـنَ عَلِيلةً .. وَاشْـــتَدَّتِ الضَرَّاءُ

وخَطَبْتِ ، قَبْلَ القَبْضِ ، خُطْبَةَ مُفْلِقٍ

تَرْنُـــــو إلى أَمْثَالِهَا الخُطَبَاءُ

وَجَعَلْتِ أَمْرَكِ بَعْدَ ذَاك أَمَانَـــــةً

بِيَـــدٍ .. إليها تَنْتَمِي الأُمَنَاءُ

بِيَدِ الوَصِيِّ المُرْتَضَى .. وهـــو الذي

كانتْ إليـــــه العُهْدَةُ البَيْضَاءُ

وَ [لِغَايَـــــةٍ في نَفْسِ يَعْقُوبٍ] فَلَمْ

تَرْضَيْ يَكُونُ سِـــوَاهُ ، وَالأَبْنَاءُ

في مَأْتَمٍ ، مَاكانَ إلاَّ مَحْفَـــــــلاً

عَبَقَتْ به : الآيَـاتُ ، وَالأَنْدَاءُ

صَلُّوا عَلَيْـــــكِ ، وَغَيَّبُوا نُوْراً ثَوَى

عِنْدَ البَقِيـــعِ .. وَخَيَّمَ الإدْجَاءُ

* * *

مَوْلاتَنَا الكُبْرَى .. أَرَاني لائِـــــذاً

بالبَابِ .. يَحْمِلُنِي إِلَيْكِ رَجَـاءُ

وَيَقُودُ خَطْوِي لِلمَحَجَّةِ : مَأْمَـــــلٌ

وعلى شِفَاهِي : بَسْـمَةٌ ، ونِدَاءُ

أَرْجُو إذا قامَ الحِسَابُ .. وَأُحْضِرَتْ

تِلْكَ الصَحَائِفُ ، وَابْتَدَا الإجْزَاءُ

تَغْشَى الصَّحَائِفَ ، مِنْ لَدُنْكِ شَفَاعَةٌ

تَبْيَضُّ فِيهَا .. أَنْتُمُ الشُّــــفَعَاءُ

وأَرَى بِأَنِّي سَــــــــــابِقٌ لِوَلايَةٍ

يَسْـــمُو بها الإيمانُ ، والإيفاءُ

هَلاَّ أَكُونُ لِمَا أُرَجِّي سَـــــــابِقاً

أَيضاً ؟؟ وذَا فَضْلٌ لَكُمْ ، وعَطَاءُ

* * *

---

(١) – روى البخاري أنَّ النـبيَّ صلّى الله عليه وآله قال : **فاطمة بضعة مني ، فمَن أغضبها أغضبني .**

[كتاب الزهراء – للدكتور محمود عكّام – حلب]

[بحار الأنوار – مجلد ٤٣ – ص١٤]

* * *

(٢) – الأوزاعي : عن يحي عن أبي كثير عن أبي هريرة قال : **قال عليّ عليه السّلام : إنما سُمِّيَت فاطمة لأنَّ الله فطم مَن أحبَّها عن النار .**

[بحار الأنوار – مجلّد ٤٣]

وكذلك مثله عن جابر الأنصاري في روايات متعدّدة .

* * *

(٣) – عن إبان بن تغلب قال : **قلت لأبي عبد الله الصّادق (ع) : يابن بنت رسول الله ، لِمَ سُمِّيَت الزهراء زهراء ؟**

قال : لأنها تزهر في النهار ثلاث مرات بالنور ، كلّما قعدت في محرابها تصلّي .

[بحار الأنوار – مجلّد ٤٣ ص١١]

***

(٤) – لقد ورد في جميع تفاسير القرآن الكريم المروية عن آل البيت عليهم السّلام أنّ هذه الآية نزلت ردّاً على الشانيء القالي العاص بن وائل السهمي ، وكانت بما يفيد أنّ مَن لديه الزهراء لايكون أبتر .

[بحار الأنوار بالإضافة إلى جميع كتب التفسير المنوّه بها]

***

(٥) – روى البخاري ومسلم : أنّ النبيَّ (ص) وآله قال : **أما ترضين أن تكوني سيِّدة نساء أهل الجنّة ؟ أو نساء المؤمنين ؟ أو سيِّدة نساء هذه الأمّة ؟**

[الزهراء للدكتور محمود عكّام – حلب]

[بحار الأنوار – مجلّد الزهراء – ص٢٦]

(٦) – روى البخاري والترمذي أنّ النبيَّ (ص) وآله قال : **فاطمة بضعةٌ مني ، يريبني ماأرابها ، ويؤذيني ماأذاها .**

[المصدران السابقان نفسهما]

***

(٧) – للزهراء العديد من الألقاب الشهيرة ، بعضها ورد في القصيدة ، وبعضها لم يرد ، منها :

– السيِّدة ، مريم الكبرى ، والدة الحسن والحسين ، أمّ النقيّ والتقيّ ، أم البلجة ، أم الرأفة ، أمّ الموانح ، أمّ النورين ، أمّ البدرين ، وغيرهما .

وكذلك ممّا كان يسمّيها سيّدنا عليّ (ع): أمّ البركات، أم الهادي، أم الرحبة.

[بحار الأنوار – مجلّد ٤٣].

***

(٨) – في مسند أحمد عن عائشة قالت: **أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشية رسول الله (ص).**

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص٥٣]

***

(٩) – عشرات المصادر، وفي بحثٍ طويل عنوانه (تزويج فاطمة)، عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه، **عن سيِّدنا عليّ (ع) قال : قال لي رسول الله (ص) : ياعليّ، لقد عاتبني رجالٌ من قريشٍ في أمر فاطمة، وقالوا : خطبناها إليك، فمنعتنا، وزوّجت عليّا. فقلت لهم : والله مامنعتكم وزوّجته، بل الله منعكم ، وزوّجه. فهبط عليٌّ جبريل وقال : يامحمّد، إنّ الله جلّ جلاله يقول : لو لم أخلق عليّاً لَمَا كان لفاطمة ابنتك كفوٌ على وجه الأرض.**

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص٩٢]

***

(١٠) – عن ابن عباس وابن مالك : يروي ابن بطة والسمعاني وغيره : **بينما رسول الله (ص) جالسٌ إذ جاء عليّ فقال له : ماجاء بك ياعليّ ؟**

قال: جئتُ أسلِّم عليك.

قال: هذا جبريل يخبرني أنّ الله عزّ وجلّ زوّجك فاطمة ، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك، وأوحى الله إلى شجرة طوبى: «أن انثري عليهم الدّر والياقوت» فنثرت عليهم الدرّ والياقوت، وابتدرت الحور العين يلتقطن ذلك في أطباق، ويتهادينه، ويقلن : هذه تحفة خير النساء.

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص١٠٩]

***

(١١) – أمر النبي (ص) نساءه أن يزيّن فاطمة في حجرة أم سلمة، ثمّ أمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وأن يفرحن، وأن يرجزن، وأن يكبّرن، ومما أرجزت به أم سلمة:

سِرْنَ بعون الله جاراتِي واشكرنه في كلّ حالاتي
سِرْنَ مع خير نساء الورى تُفدّى بعمّاتٍ وخالاتِ

والحديث طويل يشمل ماأرجزت به كل من السيدتين عائشة وحفصة وغيرهما.

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص١١٥]

***

(١٢) – في كتاب ابن مردويه، ماقد ورد عن دعاء النبيّ (ص) لها يوم زواجها وما قال لها بعد ذلك، حين طلب ماء وأخذ جرعة منه وصبّها عليها وهو يدعو: **اللهمّ بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما.**

إلى أن قال: **وأذهب الله عنكِ الرجسَ وطهّركِ تطهيراً.. إلى أن قال: مرحباً ببحرين يلتقيان، ونجمين يقترنان.**

والحديث طويل.

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص١١٦].

(١٣) – توفّيت فاطمة (ع) ولهـا ثماني عشر سنة وشهران وخمسة وعشرون يوماً، عاشت بعد أبيها أربعين يوماً.

[بحار الأنوار في مواضع متعدّدة].

***

(١٤) – في مسند أحمد عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشية رسول الله (ص) وآله، فقال: مرحباً ياابنتي.

ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سَرَّ إليها حديثاً فبكت.

قلت: استخصّك رسول الله، وتبكين ؟

ثم أسرَّ إليها حديثاً، فضحكت.

فقلت: مارأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن.

فسألتها عمّا قال ؟

فقالت: ماكنتُ لأفشي سرّ رسول الله (ص) وآله، حتّى قُبِض، وسألتها فقالت: أسرَّ إليّ (أنَّ جبريل (ع) كان يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرة، وأنّه عارضني به العام مرّتين، ولا أراه إلاّ قد حضر أجلي)، وأنّك أول بيتي لحوقاً بي.

فبكيت، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأمّة ؟ ونساء المؤمنين ؟

فضحكت.

[بحار الأنوار – ج٤٣ – ص٥١].

***



في ذكرى عاشوراء (١٤٢٤) هـ

دمشق ١٨/٣/٢٠٠٣ م

مِحْنَةُ الدَّهْرِ

بَكَتِ الأرضُ .. واكفهرَّ الفضَـــاءُ

واستفاقتْ على البكاءِ : السَّـمَاءُ

راعَهَا مَشْـــهَدُ النَّبِيِّ : حَزِيـــناً

في كسوفٍ .. وحوله الزَّهْـــراءُ

تلطُمُ الخَدَّ .. والنِّـــداءُ : دَوِيٌّ

[واحُسَيْناً] .. وترجفُ الصَّحراءُ

[واحُسَـــيْنَاهُ .. لُذْ بصدري قريراً

هَمُّ صدري : تضُمُّك الأَحْشَـــاءُ]

[ألفُ ويلي عليْكَ .. قد مسَّكَ الضُّـ

ـرُّ .. وغَشَّـــتْ نَواظري الظَّلْمَاءُ]

وتوالى النِّـــداءُ : ينزفُ حزناً

لم تَزَلْ مِنْ صَدَاهُ : [عاشُــوراءُ]

وكِسَـاءُ النَّبِيِّ .. يفتقِدُ السِّبْـ

ـطَ حُسَيْناً .. فما يقولُ الكَسَاءُ ؟؟

إنَّهُ السِّـــبْطُ .. سيِّدُ الشُّهداءِ

الغُرِّ طُرّاً .. ويُغْبَطُ الشُّـــهَداءُ ! !

يالَسِـــبْطِ النَّبِيِّ .. يقتُلُهُ البَغْيُ

.. ويزهو بقتله الأشـــــقياءُ ! !(١)

وثلاثونَ مِنْ بني هاشمٍ صَرْعَى

.. وللمصطفى : يؤولُ العـــزَاءُ (٢)

أوَهـــذي مودَّةُ اللّهِ في القُربى :

جَزاءً ينالُـــــــــه الأقْرِبَاءُ ؟؟ (٣)

أوَهـــــــذي وصيَّةُ المصطفى في

العِتْرَةِ الطُّهْرِ : ذِلَّةٌ ، وبَلاءُ ؟؟ (٤)

لا وربِّي .. ماهكذا حُرْمَـةُ اللهِ

تُرَاعَى .. ولا الإلَهُ يَشَـــــاءُ

إنَّما : صَوْلَــــةُ انتقامٍ لِقَتْلَى

يومِ بَدْرٍ .. يصولُـــــهَا الطُّلَقَاءُ (٥)

وتشفُّوا بَحزِّ رأسِ حُسَـــينٍ

حَسْبُنَا : رأْسُهُ الشَّرِيفُ : الفِدَاءُ

[وفَدَيْنَاهُ] : آيةٌ عند إبراهيمَ

.. تأويلُــــــها : لنا الإبتلاءُ

وإذا ماتعدَّدَتْ مِحَنُ الأيَّـــــام

.. ظلَّتْ تعدُّهــــــا الآراءُ :

مِحْنَةَ الدَّهرِ .. بعد (صَلْبِ) يَسُوعٍ

هي (قَتْلُ) الحسينِ .. ياأنبياءُ (٦)

* * *

ياشـــــهيدَ الجهادِ .. تُعْلِي لِوَاءً

مِنْ معاني [الفراشِ] هذا اللِّوَاءُ (٧)

مثلما أنتَ من [عليٍّ] : إمَامُ

وعَظِيــــــــمٌ : آباؤهُ عُظَمَاءُ

ونراكَ المنارَ – ياثاني السِّبْطَيْنِ

غَداً .. وتُسْـــــــــفَحُ اللألآءُ

لاتزال الأجيالُ .. تســـتلهمُ

الدَّرْسَ : جَلِيّاً .. ويشــهدُ القُرَّاءُ

ليسَ مِـــــنْ ثائـر على فَتْكَةِ

الظُّلاَّمِ .. إلاَّ : ودربُــــهُ كَرْبَلاءُ

لمْ تَشَأْ يَسْرُقُ الجُنَاةُ صَبَاحاً

أنتَ مِنْهُ الضُّحَى .. وأنتَ السَّنَاءُ

لْم َتَشأ تُؤْخَذُ الحقوقُ سِــفاحاً

فانتخى منك للحقوقِ : الوَفَـــاءُ

واتَّخذت القرارَ .. تختصِمُ البَغْيَ

.. وســـــــيَّانَ تَعْصُفُ الأنْوَاءُ (٨)

تتصدَّى .. ودونَك البَغْيُ : جيشٌ

جـرَّهُ : الحِقْدُ ، والعمى ، والبَغَاءُ

لم تَرُعْكَ الجيوشُ في زَحْفِهَا : الْـ

بَأْسُ .. وحيداً ، ووحدَكَ : البَأْسَاءُ

قدراً ترتضيـــــه في زَحْمَةِ الجُلَّى

.. ويرضى العَـــــــلاءُ .. والعَلْيَاءُ

تســـــألُ اللهَ : أنْ يُبَلِّغَكَ النَّصْرَ

.. وَإلاَّ : الشَّـــــــــهادةُ الغرَّاءُ

وازدهى في الطريق منك جبيـــنٌ

مطمئنٌّ لما يؤولُ الجـــــــــزاءُ

وتَقَحَّمْتَ ساحةَ الموتِ .. تَغْشَى

جانبيْـــــــها .. ودونَكَ الأعْداءُ

إنَّما (داوروك) يُمْنى ، ويُسْرى

عَشَــــــرَاتٌ .. وكانَتِ الدَّهْيَاءُ (٩)

فهوى جسمُكَ الطّهورُ على الأرضِ :

صَرِيعاً .. وضجَّتِ الأَرْجَـــــــاءُ

وَلْوَلَتْ : زينبٌ .. وصـــاح عليٌّ :

أيْنَ جَدَّايَ ؟؟ حَلَّ فيـــــنا البلاءُ

والبُنَيَّـــــــــاتُ .. هَدَّهُنَّ الْتِيَاعُ

وعَوِيلٌ .. وليسَ ثَـــــمَّ احْتِمَاءُ

صائحاتٍ .. وفي الحلُوقِ : جفافُ

لاجئاتٍ .. وأيـنَ ، أيْنَ الْتِجَاءُ ؟؟

إنّما .. تخرسُ الحروفُ .. مع الموتِ

.. وللّهِ : الأحْرُفُ الخرْسَــاءُ ! !

وَيُلِحُّ السُّـــــــــؤَالُ .. يَطْفُرُ لَوْناً

مِنْ خَيَالٍ .. ويُعْذَرُ الشُّـــعَرَاءُ

لو رآك النبيُّ .. ضرَّجـــــكَ الدَّمُّ

.. ويلهو برَأْسِـــــــكَ السُّفُهَاءُ

وحواليك .. بـــين مَوْتى وظَمْأى

كلُّهم أهــــــلُ بيْتِكَ الضُّعفاءُ :

ماالذي قد يقولُ ؟ في زَحْمَةِ الهَوْلِ :

بَيَاناً ؟؟ وللسُّـــؤَالِ : اقْتِضَاءُ

* * *

لستُ أبكيكَ .. ألفُ حاشـــا ومِنْ

أينَ لدمعي : السُّمُوُّ ، والإرْتِقَاءُ

أنتَ فوقَ الدموعِ : قدراً ، ومَعْنىً

ياأبَا عبدَ اللّهِ .. أنتَ الضِّيَـــاءُ

مَن تُرَى .. يبكي الشَّمْسَ غَلَّفها اللـ

ـيْلُ .. وللشَّـــمْسِ : هالةٌ .. وبقاءُ

أنتَ لستَ القتيلَ في كربـــــلاءَ

الطَّفِّ .. يومـــاً .. وإنما الأُجَرَاءُ

أنتَ كنتَ الشهيدَ .. والشـــاهدَ

العَدْلَ عليهم .. وتشـــهدُ الأمناءُ

ولَعمري .. يُكَرّمُ الحقُّ والإسْـــ

ـلامُ لَمّا يُكرّمُ الأوفيـــــــــــاءُ

* * *

ياالْحُسَيْنُ الزَّكِيُّ .. يابْنَ الوصِيِّ

المرتضى .. مَـــــــن تحفُّهُ الآلاءُ

حَفَلَ الفَجْرُ مِنْ طَوَالعِكَ الحُمْرُ :

سُـــــــــطُوعاً .. تُزينُهُنَّ الدِّمَاءُ

هُــنَّ منكَ الجراحُ .. طافَ بها

الفجرُ : صَلاةً .. وندَّتِ السِّـــيمَاءُ

وَلْتَغَرْ باكيـــاتُ [حمزةَ] إمَّا

راح يبكي الضحى .. ويبكي المســاءُ

حَسْبُنَا الآنَ .. نصطفيكَ نشيداً

فاح منه الشَّـــــذى ، وندَّ الوَلاءُ

فإذا نُكْبِرُ المواقـــــفَ : عِزّاً

لك منها : الشُّـــمُوخُ ، والكِبْرِيَاءُ

وإذا نشـــتهي البلاغةَ إِعْجازاً

.. إلَيْكَ : البلاغـــــــــةُ العَصْمَاءُ

وإذا أسكرَ المســـــامِعَ لَحْنٌ

كُنْتَ منه الهوَى .. وطابَ الغِنَاءُ ! !

* * *

ياليالي مـــن المحرَّمِ .. عشـــراً

يُبْتَغَى مِنْكِ ياليــــــالي : الرَّجَاءُ (١٠)

مُذْ عَشِقْنَاكِ : رَنَّحَتْنَا البُطولاتُ

.. وســـــــارتْ بِرَكْبِنَا الجَوْزَاءُ

لستِ ذكرى تَهُلُّ آناً .. وتَخْفَى

ثورةُ الحقِّ : أين منها الخَفاءُ ؟؟

إنَّما أنتِ في الصدور : نشـــيدٌ

وحُسَـــــامٌ .. وموقِفٌ .. وإبَاءُ

فإذا أوحتِ المعاني : رمـــوزٌ

فَلأنْتِ : الرُّمـــوزُ ، والإيحاءُ

هكذا اللّحْظَةُ الُحَسْينِيَّةُ الأولى :

ابتلاءٌ .. قوامُـــــــهُ : الإفْتِدَاءُ

أسَّسَتْ للدفاع عن شَرَفِ المبدأ :

نَهْجاً .. مِـــــــدَادُهُ : الإنتماءُ

لم يَضُنَّ الحُسَيْنُ – كي يَسْلَمَ النَّهْجُ –

بِغَالٍ .. والشَّـــــاهدُ : الأبْنَاءُ

فَسَمَا النَّهْجُ للعُلَى .. مستديماً

وارْتَضَتْ فيـــــه مَهْرَها : العَلْيَاءُ

ياشهيدَ الإســـلامِ .. آنَ أوانٌ

نابَ فيهِ الإسلامَ : خَطْبٌ ، ودَاءُ

نَفَثَ الشَّرُّ حقدَهُ مســــــــــتطيراً

وتلاقى الإغــــواءُ .. والغوغاءُ

هجمةُ الشرِّ ، والطُّغَاةِ على الإسْـــ

ـلامِ : هبَّتْ رياحُـــها الهوجاءَ

والغريبُ العجيبُ : ننسى ، ونمشي

خَلْفَ مَنْ ضَيَّعوا الطريقَ ، وجاءوا

* * *

ياإمامي .. وذا بياني : احتفاءٌ

فتَقَبَّلْهُ .. ليس فيــــــــه رِيَاءُ

هاأنا لائِذٌ ببابكَ .. أرجوكَ قَبُــ

ـولاً .. ويَسْــــــــتطيلُ الرَّجَاءُ

هَبْ لي العَفْوَ ، شافعاً لقصوري

وذنوبي .. فأنتمُ الشُّــــــفُعَاءُ

* * *

* – الإمام الحسين : هو مَن جمعٍ مكـارم الأخـلاق ، ومحاسن الأعمـال .. مشى مِنَ المدينـة إلى مكـة علـى قدميْـهِ حاجّـاً خمسـاً وعشرين مرّة ، وقاتل مع أبيه أصحاب الجمل ، ثمَّ جنـود معاويـة ، ثُمَّ الخوارج .
ناهيك عن كونـه في وقتـه كـان علـم المهتديـن ، وأحـد السِّبطيْن ، وإحدى الريحانتيْن ، وابن أمـير المؤمنـين .. نشأ وتربَّـى في بيـت النبوَّة ، تأدَّب وتخلَّق بأخلاق الرسالة ، فإذا هو : قِبْلَةَ الأنظـار ، بحيث يكفي السامع قول القائل : (الحسين بن عليّ) لِيُدْرِكَ أنـه

أمام جَمْعِ الفضائل ، وجَسَدِ القِيَم .. ضرب مثلاً بنفسه – ولا كلّ الأمثال – فإذا هو فداء الحقّ في مواجهة الظلم .

***

(١) – السِّبطْ : هو ابن البنت .

***

(٢) – الثلاثون الصَّرعى : هم شهداء بني هاشم المقرَّبون (ومنهم مَن قال سبعون) ، فيما لو كان النبيُّ (ص) وآله حيّاً لكان هو المُعزَّى فيهم .

في مقدّمة هؤلاء ، وأوّل شهيد منهم هو : عليّ بن الحسين الأكبرِ ، وهو أوّل مَن خرج للقتال ، وكان أصبح الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقاً ، وعمره تسع عشرة سنة (وفي رواية ثلاث وعشرين سنة) ، استأذن أباه بالقتال ، فنظر إليه أبوه نَظَرَ آيس منه ، وأرخى عينيه وبكى ، ثمّ رفع سبّابتيْه نحو السماء وقال :

" اللهمَّ كُن أنتَ الشهيدَ عليهم ، لقد برز إليهم غلامٌ أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك ، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيِّك نظرنا إليه " ، ثمَّ رفع صوته وتلا : ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) آل عمران ﴾

ثمّ شدَّ عليٌّ على القوم وهو يقول :

أنا عليُّ بن الحسين بن عليّ   نحنُ – وبيْتِ الله – أولى بالنبي
تالله لايحكم فينا ابن الدّعي   أضربٍ بالسَّيْف أحامي عن أبي
ضرْبَ غُلامٍ هاشمي علويّ

وجعل يشدُّ عليهم ، ثُمَّ يرجع إلى أبيه ويقول : ياأباه ، العطش .
ويردُّ الحسين (ع) :
إصبر حبيبي ، فإنّك لاتُمْسِي حتى يسقيك رسول الله (ص) وآله بكأسه .
وتابع عليٌّ الكرَّة بعد الكرَّة حتى ظفر به مُرَّة بن منقذ العبديّ ، وطعنه بالرمح .. فصرعه ، وإذا بالفتى ينادي : ياأبتاه .. عليك السّلام ، هذا جدِّي يقرءُك السّلام ويقول : " عجِّل بالقدوم علينا " .
ثُمَّ اعترضوه وقطَّعوه إرباً ، إرباً .
ألا شُلَّتْ تلك الأيدي الجانية .

***

(٣) – المودَّة : من قوله تعالى : ﴿ قُلْ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٢٣) الشورى ﴾ .

***

(٤) – حرمة الله في أقرباء الرسول : إشارة إلى قوله (ص) وآله : إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي .. (الحديث) .

***

(٥) – صولة الطلقاء : هي غارة يزيد على آل الحسين ، وتوكيدها من قوله الشهير :
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقْعِ الأسِلْ

***

(٦) – القتل والصلب وما يلحق بهما من ألـوان التعذيـب ممَّـا يقـعُ
على الأنبياء وآلهم: يُعَدُّ فـي مقدمة عقوق الناس لله عزّوجل.
(يقصد الشاعر هنا بكلمة الصلب الجانب المعنوي وليس الجسدي)

* * *

(٧) – الفـراش : إشـارة إلى مبيـت الإمـام علـــيّ (ع) فـــي فـراش
الرسول(ص) ، تمويهاً لهجرة النبيّ (ص) ، ونجاته، وذلك
من مكّة إلى المدينـة.

* * *

(٨) – القرار : هو الموقف الملتزم الـذي اقتضاه الحـال دفاعـاً عـن
الحقِّ في مواجهـة الظلم .. كان ذلك حين بلغ الحســين (ع)
أرض كربلاء يوم الخميس (الثاني من شهر محرّم) سنة
(٦١) هـ ، وكان قـد سـأل عـن إسـم الأرض ، فقيـل لـه :
كربلاء .
فقال : [اللهمَّ إني أعوذ بك من الكرب والبلاء .
وأقبل على أصحابه وقال : النـاسُ عبيـدُ الدنيـا ، والدِّيـنُ
لَعْـقٌ علـى ألسنتهم يحوطونـه مـادرَّت معايَشُـهُم ، فـإذا
مُحِّصوا بالبلاء قلَّ الدَّيَّانون " .
هاهنا مناخ ركابنا ، ومحطُّ رحالنا ، ومقتلُ رجالنا]
ثُمَّ أنَّه جمع وُلْـدَهُ وإخوتـه وأهـل بيتـه ، ونظـر إليهـم ،
ودمعت عيناه ، وقال :
[اللهمَّ إنَّا عترة نبيّـك محمَّـد (ص) وآلـه وقـد أُزعِجنَـا ،
وطُردْنَا ، وأُخرِجْنا عن حرَم جَدِّنا ، وتعدَّى علينا الظالمون
، اللَّهمَّ فخذ لنَا بحقنا ، وانصرنا على القوم الظالمين] .

في هذه الأثناء ورده كتاب عبيد الله بن زياد يقول : ياحسين ، لقد كتب إليَّ (أمير المؤمنين يزيد) أن لاأتوسَّد الوثير ، ولا أشبع من الخمير ، أو أُلحِقَك باللطيف الخبير .. أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد ، والسّلام .

وبعد أن قرأ الحسين الكتاب ، ألقاهُ من يده ، وقال :

[لاأُفلِح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق] .

والتفت إلى رسول عبيد الله وقال : [لاجواب عندي] .

وكانت الدَّهْيَةُ الدَّهْيَاءُ بالذي كان بعد ذلك .

* * *

(٩) - بعد قتال طويل ومرير ، أصبح في جسم الحسين جروح كثيرة ، وتوقَّف يستَريح قليلا ، وقد ضَعُفَ جسمه ، وأخذ الثوبَ يمسحُ جبهته من دمائه ، وإذا بسهم مسموم يخترق ظهره ، وصاح : [بسم الله وبالله ، وعلى مِلَّةِ رسول الله (ص) وآله] .

ورفع رأسه نحو السّماء وهو يقول : [إلهي تعلمُ أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجهِ الأرض ابن بنت نبي غيره] ثم أخذ السهم من وراء ظهره ، والدَّمُ ينبعث كأنه ميزاب .. وتحاماه الناس كراهَيةً أن يلقوا الله بدمه .. إلى أن صاح (الشُّمّر) : ويحكم ماتنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه .. فحملوا عليه من كلّ جانب ، وكان ماكان من شرٍّ فعلتهم النكراء ، حيث سقط صريعاً بعدما خضَّب لحيته من دمه وهو يقول : [هكذا ألقى الله مخضَّباً بدمي ، مغصوباً عليَّ حقي] .

* * *

(١٠) – عاشوراء ، أو العشر الأيام الأُوَلْ من شهر محرَّم : وهي ميـاقيت أحـزان آل النـبيّ (ص) وآلـه ومَـن تبعهـم ، وفي مقدِّمتها أحـزان مَـن تبقـى منهـم آنـذاك ، وعلـى رأسهم الإمام عليّ زين العابدين (ع) الذي نقل ابـن شـهر آشوب عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : [بكي عليّ ابـن الحسين (زين العابدين) عشرين سنة ، وما وُضِعَ بين يديه طعام إلاّ بكى] .

وزيد في رواية عن غيره أنـه حـين ساله خادمـه : أمَا آن لحزنك أن ينقضي ؟

قال له : ويحك ، إنَّ يعقوب النبيّ (ع) كان له اثنـا عشر ابناً ، فغيَّب الله واحداً منهم ، فـابيضَّت عينـاه مـن كـثرة بكائه ، واحدودب ظهره من الغمِّ ، وكان ابنه حيّـاً في دار الدنيا .. وأنا نظـرت إلى أبـي وأخـي وعمّـي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتي : مقتولين من حولي ، فكيـف ينقضـي حزني ؟

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجِّد : أنَّ الذين صُرِعُوا حول الإمام الحسين من أهل بيته : ثلاثـون رجـلاً ، يعـزُّ على رسول الله (ص) وآله مصرعُهـم ، ولـو كـان في الدنيـا يومئذٍ حيّاً : لكان هو المُعزَّى بهم .

وحين استأذن الشاعر السيِّد الحميري الإمـامَ الصَّـادقَ (ع) لينشده في عاشوراء ، أذِنَ له ، وأقعدَ الإمامُ حرمَـه خلـف ستر .. وأنشد :

أُمْرُرْ على جَدَثِ الحسين ، فقُلْ لأعْظُمِهِ الزَّكيَّهْ
ياأعْظماً .. لازلتِ مِـــنَ وطفاءَ ساكنةٍ : رويَّهْ

وإذا مَرَرْتَ بقبره : فأطِلْ بـه وَقْفَ المطيَّةْ
وابكِ المطهّر للمطَهّرِ .. والمطهَّرة النقيَّـةْ
كبكاء معْولَةٍ ، أتتْ يوماً لواحدها : المنيَّةْ

فاندفع البكـاء في دار جعفـر ، وزاد الصـراخ .. فـأمر الصّادق (ع) بالإمسـاك ، فأمسَك (مـع الإشـارة إلى أنـه لم يُسـمَح لرجـل علـى الإطلاق أن يصل صوته إلى حرم ابـن بنـت رسـول الله (ص) وآلـه في داره غيره) .

أخيراً : من أجل عاشوراء : لم تكتحل هاشميَّة ، ولم تختضِـبْ .. ولا رؤيَ في دار هاشمي دُخان لخمس سنين ، حتـى قُتِلَ عبيـد الله بن زياد .

وعن فاطمة الصغرى قالت : ماتحنَّـأتِ امْـرأةٌ منّـا ، ولا أجـالت في عينيها مِرْوداً ، ولا امتشطت ، حتى بعث المختار برأس عبيـد الله بن زياد .

* * *



إلى حضرة سيدي ومولاي زين العابدين

علي بن الحسين عليهما السلام

بمناسبة المؤتمر الدولي حول الصحيفة السجا

الذي أقامته سفارة الجمهورية الإسلامية الإير

في سورية

شعبان (١٤٢٠) هـ

كانون أول (١٩٩٩) م

دمشق – مكتبة الأسد

سجّاد آل البيت

عليهم السّلام

المجدُ : مجدُكَ .. لاسيْفٌ ، ولا قَلَمُ

والجاهُ : جاهُــــكَ ، لامالٌ ولا نِعَمُ

وإنّما عـــــزَّةٌ للّهِ ســـــــــابغةٌ

عليكمُ .. آلَ بيتِ اللّهِ : تُقْتَسَـــــمُ

يابْنَ الشّــــهيدِ الزَّكيِّ المنتمي نَسَباً

للمرتضى .. مَـــــنْ إلَيْهِ تنتمي القِيَمُ

في غرَّتَيْكَ مِـــــنَ الزَّهْراءِ : لألأةٌ

ومن أبيها رســـــولِ اللّهِ : مُتَّسَمُ

ويزدهي لأميــرِ المؤمنيـــنَ ضُحَىً

في وجنتيْكَ .. ويَزْهُو بالضِّيَـــاءِ فَمُ

فالحقُّ : آلُ رســولِ اللهِ قدْ شَرُفُوا

بما استقاموا ، وما ضحُّوا ، وما غَرِمُوا

* * *

لو قيلَ مَــــــنْ سيِّدُ العُبَّاد قاطبةً

يومَ المعادِ .. وجَمْعُ النَّاسِ : حَشْرُهُمُ

لقام في الحشر : زينُ العابِدينَ على

مُطلَّةٍ مـــــن ضياءِ الحقِّ .. يَبْتَسِمُ

يُنمى لهاشمَ من أســــيادِ يعرُبِنا

ويزدجردَ مليـــك .. أصلَهُ : العجَمُ (١)

فرعانِ .. من نسَبٍ حُرٍّ ومن حسَبٍ

لايُبلغانِ .. وأنَّى تُبْلـــــغ القِمَمُ ؟ (٢)

* * *

قال الفرزدقُ .. والحُجَّاجُ في شُــغُلٍ

من زحمة الحجِّ .. لكنْ كلُّهمْ وجَمُوا (٣)

مُذْ أشرقتْ طلعةُ الســجَّادِ زاهيةً

ولا الصباحُ تلاشـــــتْ دونهُ الظُّلَمُ

(هـذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَه

والبيـتُ يعرفه .. والحلُّ .. والحَرَمُ)

(هذا ابنُ خيـــرِ عبادِ اللّه كلّهم

هذا التقيُّ .. النقيُّ .. الطاهرُ .. العَلَمُ)

وها أُثَنّي على ماقال شـــــاعرُنا

حَرْفاً بحرفٍ .. وأُغليـــه .. وأَحْتَرِمُ

حسبي أشـرّفُ أنغامي وقافيتي

وينتشـــــي الحرفُ والأفكارُ والنّغَمُ

* * *

يارابعَ العترةِ الأطهار .. ياعلَماً

كم يزدهي إن تسمّى باسِمَك العَلَمُ ! !

أبا محمَّد .. من ســمّوه تزكيةً

بباقــــر العلم .. يجلوهُ .. ويغتنمُ (٤)

واللّهُ أعلمُ حيــث النورُ يجعلُهُ

ذريّةٌ بعضها من بعض .. تســـتلِمُ

* * *

لكمْ تفضَّلْتَ فيما عُدَّ مدرسـةً

عَبْرَ الصَّحيفةِ .. تُسْتَهْدى بها الأمَمُ

صحيفةُ النُّورِ سجَّاديَّةٌ عظُمَتْ

فيها المناجاةُ .. والدعواتُ ، والكَلِمُ (٥)

سموتَ فيها عن الأجساد ، مُتَّصِلاً

بحضرة اللّهِ .. لاعَـظْمٌ .. ولا أَدَمُ

وإذْ تَسَمَّتْ (زَبورَ الآلِ) مِنْ شِيَمٍ

نِعْمَ السَّمِيُّ ! ! ونِعْمَ الآلُ والشِّيَمُ ! ! (٦)

* * *

للّهِ دَرُّكَ ، إمَّـا قلتَ في ثقةٍ

للعَمِّ : لو أَنَّنَا ياعَـمُّ نحتكمُ (٧)

وأُنْطِقَ الحجرُ الْمسـودُّ ظاهرُهُ

ودون باطِنِهِ : الإصـباحُ لو علموا

وقالَ : أنتَ الذي حقّتْ إمامتُهُ

بعد الحُسَيْنِ .. فنِعْمَ الحُكْمُ ، والحَكَمُ ! !

* * *

ياسيِّدي . يابنَ بنتِ المصطفى : أمَلي

أُزجيهِ عندكَ .. مرجـــــوّاً .. وأَعْتزمُ

وها يميـــــني .. وقلبي بعد باصرتي

ببابكَ الطُّهْرِ .. أدعـــــوه .. وأعتصمُ

سبحانَ ربِّكَ ، رَبِّ العزِّ .. أسـألـه :

حِفْظَ البنيـــــن ، وستْراً ليس يُخْتَرم

* * *

---

(١) – يزدجرد : والِد أمّ السّجاد زين العابدين ، وقيل : إسمهـا (شهربان) .
وقال المبرِّد بالكامل : إسمهـا سلافة مـن وُلْـد يزدجـرد ، معروفة النسب ، وهي من خيِّرات النساء .
وقـال المفيـد (وهـو الأرجـح) : إسمهـا شاهرنان بنـت يزدجرد بن شهريار بن كسرى .
ويروي الراوندي : أنها أُخِذَت في خلافـة ابـن الخطّاب ، وأريـد بيعُهـا ، فنهـاهم علـيّ وقـال : أعرضـوا عليهـا أن تختَار واحداً مـن المسلمين ، وزوِّجوهـا بـه .. فاختـارت الحسين بن علـيّ (ع) ، فـأمره أبـوه أن يحفظهـا ويُحسِـن إليهـا ، فولدت له خير أهل زمانه .

ويقـال : إنَّ أهـل المدينـــة لم يكونــوا يرغبــون في زواج ا
لجواري والإيلاد منهنَّ ، حتى كان زواج شــهرنان وولادة
عليّ بن الحسين .

***

(٢) – النسب والحسب :
النسب : من الأب ، والحسب : من الأمّ .

***

(٣) – كـان ذلـك حـين حـجّ هشـام بـن عبـد الملِـك قبـل خلافتـه ،
واجتهد أن يستلم الحجـر ، فلـم يتمكّـن رغـم معاونيـه ،
وحين جاء عليّ بن الحسين (ع) تنحّى الناس واسـتلمه ..
وهشام ينظر في منبرٍ يقعد عليه ، وسـأل مَـن هـذا ؟ فقـال
الفرزدق مرتجلا :

هذا ابن خير عباد الله كلِّهِمُ
هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ

وذلك إلى تمام ثماني أبيات .. وقد رواها سبط ابن الجوزي
، والسبكي : في سبعٍ وعشرين بيتاً ، وهو الأرجح .

***

(٤) – الإمام الباقر (ع) : خامس أئمة أهل البيـت (ع) ، ولُقِّب
بالباقر : لبقر العلم ، وهو تفجُّره وتوسّعه .
وفي صواعـق ابـن حجـر : سُمِّيَ البـاقر بذلـك ، مِـن بقـر
الأرض أي شقّها ، وأثــار مخبّئاتهـا ، وكذلـك هـو أظهـر
مخبّئات كنوز المعارف ، وحقائق الأحكام .

***

(٥) – صحيفة النور، أو الصحيفة السجّاديّة: وتحتوي على واحدٍ وستين دعاءً في فنون الخير والعبادة، وهي ذات بلاغة عجيبة وألفاظٍ فصيحة، لاتُبارى ولا تُجارى.. وهو أيضاً صاحب رسالة (الحقوق) وتبيِّن خمسين حقّاً، تبدأ [حقٌّ الله الأكبر عليك] وتنتهي بـ [حقّ أهل الذمَّة] مروراً بالنفس، واللسان، والسمع، والبصر، والعبادات، والأئمة، والأمَّة، والعلم، والأهل.. وغير ذلك، فلتراجع من أصلها.

***

(٦) – من مُسميات الصحيفة السجّاديّة لقدسية عظاتها، وسموِّ دلالالتها.

***

(٧) – وهو مايروى عن محدِّثي آل البيت، وباستفاضة.. مختصرها: أنَّ عمَّه محمَّد بن الحنفية أراد أن تكون الإمامة له بعد استشهاد أخيه الإمام الحسين (ع) واحتكما إلى الحجر الأسود في الكعبة الشريفة، فأنطق وأقرَّ بالشهادة للإمام عليّ زين العابدين (ع)، فإذا بالعمّ يكون أوّل المؤمنين بابن أخيه بعد الذي سمع ماسمع.
ويرى بعض الفقهاء أنه لم يناوئه ليأخذ الإمامة منه، إنَّما ناوأه ليكون الذي كان، وتظهر إماميَّة السجّاد (ع).

***

النجمة المحمدية



عليها السّلام

***

المهرجان السنوي الولائي الثاني عشر

المنعقد في دمشـــق ٥/٧/٢٠٠٣/ م

بمناسبة ذكرى مولـــدها الكريم

في (٥) جمادى الأولى من كلّ عام هجري

إلى عقيلة الطالبيّين ، نجمة آل محمَّد

زينب الكبرى

عليها السَّلام

تَخَيَّرَكِ الإِصْبَاحُ – يَاشَامُ – مَلْعَبَا
غَدَاةَ ضَمَمْتِ الطُّهْرَ وَالعِطْرَ : زَيْنَبَا (١)

وَزَهْزَه دَرْبُ الغَوْطَتَيْنِ : مُفَوَّحــاً
لِمَا اسْتَافَ مِــنْ أَعْطَافِهَا .. وَتَطَيَّبَا

فَوَاطِمُ آلِ البَيْتِ : زَهْــــرٌ مُنَوَّرٌ
وَعَابِقُهَا : فَوْحٌ أَنَدُّ مِــــنَ الصَّبَا

هِيَ السِّبْطَةُ الكُبْرَى .. يَضُمُّ إِزَارُهَا
أَضَامِيمَ بَيْـتِ اللهِ .. غَاياً ، وَمَأْرَبَا

فَمِنْ جَدِّهَا الْمُخْتَارِ : وَهْــجُ نُبُوَّةٍ
وَطُهْرُ جَنَانٍ مِــنْ أَبِيهَا : تَخَضَّبَا

وَمِنْ شَيْبَةِ الحَمْدِ الجَلِيلِ : عَرَاقَةٌ

وَمِــنْ أُمِّهَا الزَّهْرَاءِ : مَاعُدَّ أَعْذَبَا (٢)

مَنَاقِبُ مِنْ أُمٍّ تَجَلَّتْ .. وَمِنْ أَبٍ ! !

فَأَعْظِمْ بِهَا أُمّاً ! ! وَأَعْظِمْ بِهِ أَبَا ! !

وَأَمَّا بَيَــــانُ القَوْلِ : فَهُوَ بَلاغَةٌ

تَضَمَّنَ أَحْلَى مَايُقَالُ .. وَأَعْجَبَـــا

أَطَلَّتْ .. وَلا تِلْكَ الشَّوَامِخُ وَالذُّرَى

بِرُغْمِ دَوَاهٍ تَجْعَلُ الطِّفْلَ أَشْـــيَبَا

كَأَنَّ أَمِيـــرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَرَادَهَا

خَلِيفَتَهُ .. فِيــمَنْ تَبَقَّى .. وَأَعْقَبَا

فَهَاهِيَ .. مَابَعْدَ الطُّفُوفِ : سَبِيَّةٌ

وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ سِــيَاجاً .. وَأَصْلَبَا (٣)

وَإِذْ أُدْخِلَتْ دَارَ الطُّغَاةِ : أَسِـيرَةً

وَمِلْءُ قَرَارِ النَّفْسِ قَهْرٌ تَســــرَّبَا

فَقَدْ بَقِيَـــتْ تِلْكَ العَقِيلَةُ : لَبْوَةً (٤)

تَذُبُّ عَنِ الأَبْنَاء : طَيْشـــاً تَأَهَّبَا (٥)

أَرَادَ لَهَا الإِذْلاَلَ : طَاغِي زَمَـانِهِ

فَأَخْرَسَتِ الطَّاغِي جَوَاباً .. وَأُغْلِبَا (٦)

وَلَقَّنَتِ الْمَسْعُورِ دَرْســـاً مُخَيِّباً

لآمَالِـــهِ .. فَارْتَدَّ خَصْماً مُخَيَّبَا

* * *

أَزَيْنَبُ .. يَابِنْتَ النُّبُوَّةِ وَالُهَدَى

وَيَاالسَّيْفُ .. جَلاَّهُ الشُّمُوخُ .. فَمَا نَبَا

سَفَحْتِ عَلَى سَمْعِ الشَّآمِ : مَقُولَةً

تَبَدَّتْ خِطَابـــاً ، بَارِعَ النَّصِّ طَيِّبَا

تَلَفَّتَتِ الدُّنْـــيَا إِلَيْكِ : ذَهُولَةً

كَمَا لَوْ نَطَقْتِ السِّحْرَ .. أَوْ جَاءَ أَغْرَبَا

تَقُولِينَ لِلْبَاغِـي : لَقِينَا مَصَاعِباً

وَسَوْفَ تُلاقِي أَنْتَ : أَدْهَى .. وَأَصْعَبَا (٧)

شَــــرِبْتَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ جَهَالَةً

أَلا سَاءَ مَاسَاقَتْ لَكَ النَّفْسُ مَشْـرَبَا !!

أَمِنْ أَجْلِ مَنْ عَادُواْ النَّبِيَّ ، وَأَشْرَكُوا

تُغَاضِبُ جَبَّاراً .. وَتَأْتِيـــهِ مُذْنِبَا ؟؟

وَتَغْدُو لِقَتْلَى يَوْمِ بَدْرٍ : مُحَامِيـــــاً

فَتَنْقُمُ مِـــــنْ آلِ النَّبِيِّ : تَعَصُّبَا ؟؟

فَوَاللّهِ .. (لاتَفْرِي سِـــوَى جِلْدِكَ) الَّذِي

يُبَدَّلُ فِيـــمَا بَعْدُ : نُضْجاً مُرَكَّبَا

وَهَيْهَاتَ .. (لَمْ تَحْزُزْ سِوَى لَحْمِكَ) الَّذِي

تَفَشَّتْ بِهِ الفَحْشَـــاءَ حَتَّى تَقَلَّبَا

(فَكِدْ كَيْدَكَ الْمَشْؤُومَ) سَـــعْياً مُنَاصِباً

فَذَا بَدَدٌ .. تَلْقَاهُ : خِزْياً تَشَـــعَّبَا

وَبُوءْ بِعَذَابٍ يَصْطَلِيكَ سَـــــــعِيرُهُ

وَفِي مُسْتَقَرٍّ مِـــــنْ جَحِيمٍ تَذَوَّبا

وَإِنِّي ، وَقَدْ جَارَتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ

دَعَتْنِي دَوَاهِيـــهَا أُخَاطِبُ أَجْرَبَا

أَقُـــولُ : وَلا أَبْغِي غُلُوّاً وَفُحْشَةً

(أَرَاكَ صَغِيرَ القَدْرِ) رَأْيـاً وَمَذْهَبَا

وَلَكِنَّ عَيْنِي اليَوْمَ : عَبْرَى سَكُوبَةٌ

وَصَدْرِي بِــــهِ حَرُّ الهُمُومِ تَلَهَّبَا

وَمَا لِيَ غَيـــْرُ اللهِ : عَوْناً وَمُعْولاً

وَلا أَرْتَجِي إِلَّاهُ .. أَوْ أَتَحَسَّـــبَا

فَإِنَّا بَنُواْ بَيْــــتٍ .. تَطَهَّرَ آلُهُ

نُهِلُّ تِبَاعاً .. كَوْكَبـاً ، ثُمَّ كَوْكَبَا

نُحِيلُ شَـــكَاوَانَا إِلى اللهِ وَحْدَهُ

وَنَرْضَى الَّذِي يَرْضَاهُ : حَقّاً تَوَجَّبَا

[لأَوَّلِنَا الإِسْعَادُ] : سَبْقُ وُلايَةٍ

[وَآخِرِنَا الإِشْـهَادُ] يَأْتِيهِ مَوْكِبَا (٧)

* * *

أَيَا شَفَقاً .. مِنْ ضِحْكَةِ الفَجْرِ ، مُخْصِباً

أَفَاضَ ابْتِسَاماً في الشُّرُوقِ .. فَأَخْصَبَا

وَلَكِنَّ عُسْــــــفَ الحَالِكَاتِ أَبَى لَهُ

صَفَاءً .. فَأَذْرَى بِالشُّــرُوقِ ، وَغَيَّبَا

بِعَيْنِيَ : صِباً .. تَغْوَى الشُّمُوسُ بِزَهْوِهِ

تَمَاهَتْ بِـــــهِ أَحْلامُهُ : فَتَحَجَّبَا

وَلِلّهِ مَااخْتَارَ الوَصِــــــــيُّ بِحِكْمَةٍ

لَكِ الكُفْءَ مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ ، وَصَوَّبَا !!

شَرِيكاً بِشَرْعِ اللهِ .. عَبْرَ مَسِـــــيرَةٍ

نَعِمْتِ بِهِ : زَوْجاً ، رَضِيّاً ، مُحَبَّبَا (٨)

وَإِذْ كَانَ عَبْدُ اللهِ إِبْـــــنَ عُمُومَةٍ

فَقَدْ كَانَ أَدْنَى في الشُّــعُورِ ، وَأَقْرَبَا

كَمَا كَانَ شِــــبْهاً لِلنَّبِيِّ .. وَذَا نَدَىً

غَدَا مَثَلاً في العَالَمِيـــــنَ .. وَمَنْصِبَا

حَلِيماً ، كَرِيماً ، مَاجداً ، مُتَصَدِّقاً

وَذَا عِفَّةٍ .. مَاكَانَ يَوْماً لِيَـــــغْضَبَا

وَمَا كَانَ هَذَا الحَالُ - رَغْمَ جَلالِهِ -

لِيَمْنَعَ مِنْكَ الوَاجِـــــبَ الْمُتَرَتِّبَا

فَلَمَّا اقْتَضَى مَاآلَ وَاقِـــــعُ إِخْوَةٍ

نَهِدْتِ - كَمَا يَقْضِي الْمَـآلُ -: تَوَثُّبَا

وَنَفَّذْتِ مَاأَوْصَتْكِ أُمُّكِ فِيـــــهِمُ

فَكُنْتِ لَهُمْ : أُمّاً .. وَكُنْتِ لَهُمْ : أَبَا

أَقَمْتِ مَقَامُ الوَالِدَيْنَ ، عَلَى رِضَــىً

وَسَــجَّلْتِ دَوْراً في الرِّعَايَــةِ ، أَرْحَبَا

وَجَدَّدْتِ دَعْوَى الحَقِّ وَالخَيْرِ وَالهُدَى

وَعُشْــــتِ لِيَالِيهَا : مَقَالاً ، وَمَطْلَبَا

عَقَدْتِ لِتَعْلِيمِ النِّسَاء : مَجَالِســـــاً

يَنَلْنَ بِهَا مَاعُدَّ غُنْماً ، وَمَكْسَـــبَا :

تِلاوَةَ فُرْقَــانٍ ، وَفِقْهَ مَسَــائِلٍ

وَسَبْقاً إلى الحُسْنَى ، غَدَا بكِ مُعْرَبا

وَعَالَجْتِ مِنْ مَرْضَى النفُوسِ شَقِيَّهُمْ

بآدَابِــكِ الغَرَّاءِ .. فِيــمَا تَأَدَّبَا

فَأَنْتُمْ بَنَوْا الزَّهْرَاءِ : رَمْــزُ طَهَارَةٍ

وَمَنْهجُ صِدْقٍ ، مُسْتَقِيمٌ ، وَمُجْتَبَى

* * *

أَمَوْلاتَنَا الكُبْرَى .. عَقِيلَةَ حَيْدَرٍ

أَطَلَّ بكِ التَّارِيخِ : دَرْســاً مُجَرَّبَا

حَفَظْتِ كَرِيمَاتِ الحُسَيْنِ ، وَإبْنَهُ

وَكُنْتِ إطَاراً ، مَانِعَ الجنْبِ ، أَهْيَبَا

وَأَدَّيْــتِ إحْقَاقَ الأُخُوَّةِ ، كَامِلاً

وفي مَنْطِقٍ كالسَّيْفِ : حَدّاً ، وَمَضْرَبا

فَأَصْغَتْ دِمَشْقُ الشَّامُ حَتَّى تَوَلَّهَتْ

بِمَا صُغْتِهِ : سِــحْراً حَلالاً .. وَأَعْذَبَا

وَسَمَّاكِ زَيْنُ العَابِدِينَ : (عَلِيمَةً)

فَنِعْمَ الَّذِي سَمَّى ! ! وَنِعْمَ الَّذِي حَبَا ! ! (٩)

رَفَعْتِ شِرَاعَاتِ الأَمَانِ .. فَسَارَعَتْ

إِلَيْـــــكِ مُتُونُ الحَادِثَاتِ : لِتُرْكَبَا

وَأَسْقَطْتِ إِرْهَاباً عَنِ الفِكْرِ ، غَاشِماً

وَكَسَّـــــــرْتِ نَاباً لِلْبَغِيِّ ، وَمَخْلَبا

مَوَاقِفُ .. هَيْهَاتَ الزَّمَانُ يَجُوزُهَا

تَسَـــــامَيْتِ فِيهَا لِلرِّيَادَةِ : مَطْلَبَا

تَأَجَّجَ مِنْهَا نَبْضُ كُلِّ عَرِيـــــقَةٍ

وَحَتَّى عَلَى هَـــــذَا البِعَادِ : تَطَرَّبَا

فَصِرْتِ سِرَاجَ الْمُدْلَهِمَّاتِ ، تَقْتَفِي

خُطَاكِ نِسَاءُ العَالَمِيـــــنَ .. تَأَدُّبَا

وَصَارَتْ أَغَانِي كَرْبَلاءَ : فَرِيـــدَةً

وَخَالِدَةً فِي الدَّهْرِ .. شَـــرْقاً وَمَغْرِبَا

يُعَطِّرُ أَفْـــوَاهَ الرُّوَاةِ : حَدِيثُهَا

كَأَنَّ بِهَا العِطْرَ السَّــمَاوِيَّ : ذُوِّبَا

وَلا غَرْوَ .. يَارَيْحَانَةً هَاشِـــمِيَّةً

لَكُمْ عِزَّةٌ : مَامِثْلَهَا اللهُ أَوْجَـــبَا

إِذَا مَاعَرَفْنَا بَعْضَهَا فـــي مَظَاهِرٍ

فَإِنَّ لَهَا سِـــرّاً ، خَفِيًّا ، مُحَجَّبَا

* * *

أَسَيِّدَتِي .. لَنْ أَكْتُبَ الشِّعْرَ : مَادِحاً

سِوَاكُمْ .. وَهَاأَقْسَــمْتُ أَنْ أَتَجَنَّبَا

فَدُونَ هَوَاكُـــــمْ لِلْإِلَهِ : مَوَدَّةٌ

أَفَادَ بِهَا : قُرْآنُهُ .. حِيــنَ أَعْرَبَا

فَهَلاَّ رَضِيتِ الشِّعْرَ : قُرْبَانَ خَافِقٍ

أَحَبَّكُمُ حَتَّى تَغَنَّى .. وَشَــبَّبَا ؟؟

وَذِي نَبَضَاتٌ .. أَبْدَعَ الحُبُّ لَحْنَهَا

هَدِيَّـــةُ قَلْبِي : لِلْوَصِــيِّ تَقَرُّبَا

لَعَلَّ أَبَا السّــــبْطَيْنِ يَرْضَى هَدِيَّتِي

وَأَحْظَى بِمَا أُغْلِيـــهِ مِنْهُ .. تحسُّبا

فَأُسْعَدُ فِي الدَّارَيْنِ : عَيْـشاً مُنَعَّماً

وَأَلقَى – عَلَى التَّرْحَابِ – .. أَهْلاً وَمَرْحَبَا

* * *

---

(١) – الشّام : مثوى السيِّدة زينب ..
روى ابن جبير ، وابن عساكر في تاريخ دمشق مايدلّ على أنَّ قبر السيِّدة في قرية (راوية) ، وقد اشتهر بقبر الستّ ، وله أوقاف ، وعليه مسجد .
كما ذكر ابن ياقوت في معجم البلدان : (راوية) قرية من غوطة دمشق ، بها قبر أمّ كلثوم ، وهي زينب بنت عليّ بن أبي طالب .

[أعيان الشيعة – م٧]

***

(٢) – شيبة الحمد : لقب عبد المطلب .

***

(٣) – الطفوف أو الطفّ : أحد أسماء موقعة كربلاء .

***

(٤) – العقيلة : من تسميات السيِّدة زينب حيث عرفت بعقيلة الطالبيين .

***

(٥) – قال المفيد : دعـا يزيـد بالنسـاء والصبيـان ، فأُجلسـوا بـين يديه ، إلى جانب رأس الإمـام الحسـين (ع) ، فقـام رجـل (أحمر) من أهل الشـام ، وقـال لـه : ياأمـير المؤمنـين ، هِبْ لي هذه الجارية ، وأشار إلى فاطمة بنت الحسين .
فأُرعدت الصبيَّة ، وأخذت بثياب عمّتهـا زينـب ، فقـالت زينب للشامي : كذبت والله ، ولؤمت ، ماذاك لـك ولا لـه ... (ودلّت على أميره يزيد) .
فغضب يزيد وقال : كذبت ، إنَّ ذلك لي ، لو شئت .
قالت : كلاً والله ، ماجعل الله لك ذلك ، إلاّ أن تخـرج مـن ملّتنا ، وتدين بغيرها ..
فاستطار يزيد غضباً وقال : إيّـايَ تسـتقبلين بهـذا ؟ إنّمـا خرج من الدِّين أبوك وأخوك .
فقالت زينب : بدين الله ، ودين أبي وأخي اهتديـت أنـت وجدّك وأبوك إن كنت مسلما .
قال : كذبت ياعدوّة الله .
فما كان منها إلاّ أن وبّخته بما أفحمه : أنـت أميرٌ تشـتم ظالماً ؟ وتقهر بسلطانك .
فاستحيا وسكت .

***

(٦) – طاغي زمانه : يراد به عبيد ابن زياد .
حيث أمر بإدخـال السـبايا إلى داره ، وكـان مـن جملتهـم زينب متنكرة ، وقد انتحت جانباً ، فسأل مَن هذه ؟؟
فلم تجبه ، بل أنَّ بعض إمائها قلن له : هذه زينب بنـت فاطمة بنت رسول الله (يردن تعظيمها في عينه) ، ولكنه

استشاط غيظاً وحنقاً ، فأقبل عليها وهو يقول : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم ، وأكذب أحدوثتكم .
فانتفضت زينب وقالت : بل الحمد لله الذي أكرمنا بنبيِّه محمَّد صلَّى الله عليه وآله ، وطهَّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ، ويكذَّب الفاجر ، وهو غيرنا .
فقال لها : وكيف رأيت فعل الله في أهل بيتك ؟
قالت : والله مارأيت إلاّ جميلاً .. هؤلاء قومٌ كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتحاجُّ وتخاصَم ، فانظر لمن الفلَج يومئذٍ ، هبلتك أمّك يابن مرجانة .

***

(٧) + (٧َ) - الخطاب موجَّه إلى يزيد بن معاوية ، وقد اشتمل على ماتضمَّنته الأبيات التي تلت هذا البيت وحتى نهاية الفقرة حيث كان ذلك بعد أن قام يزيد وفي يده قضيب خيرزان ينكت به ثنايا الحسين (ع) ويردِّد :

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا
جزِع الخزرج من وقع الأسلْ
لأهلُّوا ، واستهلّوا فرحاً
ثمَّ قالوا : يايزيــدُ لاتشلْ

هنا قامت زينب وقالت بعد حمْد الله والصلاة على نبيِّه وآله وكأنها تخطبُ ولا منبر ، إنما هي الأصالة :
أظننتَ يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الإماء : أنَّ بنا هواناً على الله ؟ وبك عليه كرامة ؟

إلى أن قالت : فمهلاً مهلاً ، لاتطِشْ جهلاً .. أنسيتَ قول الله : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْراً لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) آل عمران ﴾ .

أمِنَ العدل يابن الطلقاء : تخديرُك حرائرَك وإماءك ؟؟ وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ قد هُتِكت ستورهنّ ، وأبديت وجوهُهنّ .. لكن كيف تُرْتجى مراقبة ابن مَن لفظ فوه أكباد الأزكياء ؟؟ ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟؟ لقد نكأت القرحة ، وأستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذريّة محمَّد ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب .. وتهتفُ بأشياخِك ، زعمتَ أنّك تناديهم .. ستودُّ أنَّك شُللت وبكمت ، ولم تكن قلت ماقلت ، وفعلت مافعلت .. فوالله مافريت إلاّ جلدك ، ولا حززت إلاّ لحمك .

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك ، إنّي لأستصغر قدرك لكن العيون عَبْرَى ، والصدور حرَّى .. ألا فالعجب كل العجب : لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فإلى الله المشتكى ، وعليه المعول .

فكدْ كَيْدَك ، واسعَ سعيك ، وناصِبْ جَهْدَك .. فوالله لاتمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، وهل رأيك إلاّ فند ؟ وأيّامك إلاّ عدد ؟ وجمعك إلاّ بددْ ؟ يوم ينادي المنادي : ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) هود ﴾ .

فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ، ولآخرنا بالشهادة

***

(٨) – الشريك : الكفء ، هو الذي اختـاره الوصـيّ الإمـام علـيّ وهو ذاك السخيُّ الكريمُ : عبد الله بن جعفر بن ابي طالب (ع) ، شبيه رسول الله خلْقاً وخلُقاً .

***

(٩) – عليمةً : وهو اللقب الذي أطلقه عليها زين العابدين بعدمـا أفحمت بردِّها يزيد بن معاوية ، وكـان يزيـد وقـد التفت إليه وهو الفتى الوحيد بين قريباته نسوة آل محمَّـد وقـال له : لقد قتل الله أباك .

فقال زين العابدين : الله يتوفّى الأنفس حين موتها .

فغضب يزيد وقال : وبك جرأة على جوابي ؟؟ وفيك بقيّـة للردّ .. اذهبوا فاضربوا عنقه .

فاعتنقته عمّته زينب تمنع عنه ، لكنّه قال لها : اسـكتي ياعمّة حتى أكلّمه .. وأقبل عليه وقال : أبـالقتل تهدِّدنـي ؟ أما علمت أنَّ القتل لنا عادة ، وكرامتنا الشهادة ؟؟

فأسكت يزيـد ، وأمـر بحملهـم إلى دار بجنـب المسجد ، وهنا قال السجّاد لعمّته : ياعمَّة ، أنتِ عليمةً .

وفي بعض الكتب : (عالمة) .

وفي رواياتٍ متعـدِّدة : أنَّ جـواب الإمـام زيـن العـابدين ليزيد حين قال له يزيد (لقد قتل الله أبـاك) قـال : لعـن الله قاتل أبي .

***

رجالٌ .. من خواصّ آل البيت

***

١- عمَّار بن ياسر (ابن الشهيديْن) .

٢- بلال بن رباح الحبشـــي (الشـنوي) مـؤذِّن الرسول (ص) وآله .

- ١ -



(عمَّار بن ياسر)

في زيارة مقام الصحابي الكبير
عمَّار بن ياسر (ع) بالرّقة
٢٨/ محرّم / ١٤٢٣/ هـ
الموافق ١٠/ نيسان /٢٠٠٢/ م

يابن الشهيدين

مادوحَـــةٌ فاحَ منها الرَّنْـدُ والغارُ

أو شُـــعْلَةٌ شُـــعْبَتَاهَا : النُّورُ والنارُ

كجبهةٍ لفتىً أدَّى رســـــالتَهُ :

مجاهداً ، مخلصاً .. هل قلتُ عمَّارُ ؟ (١)

عمَّارُ ياسرَ .. أو قُلْ : أمَّةٌ رفَعَتْ

لــواءَ إســـلامِها .. لـم يُشْــنِهِ عارُ

عمَّارُ ياســـرَ : تاريخٌ ، وملحمةٌ

وتضحيـــاتٌ ، وإيـــمانٌ ، وإيثارُ

مـن حينَ أســلمَ في دارٍ (لأرقُمَةٍ)

زَهَتْ بـه شَـــرَفاً مــن حينها الدَّارُ

* * *

ياجلْدَةً بين عيـــــنيِّ النبيِّ .. كما
سـَـــمَّاهُ سيِّدُهُ .. واختارَ مُختَارُ (٢)

يابْنَ الشهيديْنِ ياذا الهجرتيــْنِ ، ويا
رمزاً تفاخَرَ فيه الإبــنُ والجارُ (٣)

صلَّيْتَ مهتديــاً للقبلتيْــــــنِ .. وذا
سَـــبْقٌ تآلَفَهُ : كِبْرٌ ، ومقدارُ

وإذْ سُجِنْتَ ، وقاومتَ الأذَى ، حفلَتْ
سِماتُ هَدْيكَ .. حتى غيظ كُفَّارُ

نفْسِي فِـــداءُ رســـولِ اللهِ فـي لَهَفٍ
يغشى المكانَ .. وقد آذاك أشرارُ (٤)

يدنو .. ويمســحُ عـن جفنيْكَ رُزْأَهما
وللرزايــا على الجفْنَيْـنِ : آثارُ

ويوم عُذِّبْـــــتَ في نارٍ .. وفي رَمَضٍ
دعا تكونُ ابتراداً دونك النَّــارُ

لذا أرى مـــــن على بُعْدٍ ، وأزمنةٍ
ماليس تخفيه عنِّي اليومَ أسْـتَارُ
لو زينةٌ من جِنَانٍ ، فُصِّلَتْ بَشَــراً
لكان منها : أبو اليقظانِ .. عمَّارُ

* * *

ياآلَ ياسرَ .. كمْ طالَ العناءُ ! ! وكمْ
صابرتُمُ ! ! ووهيــجُ الحرِّ : فوَّارُ
رمضاءُ مكَّةَ لـمْ ترحَمْ جُسُــــومَكُمُ
ولا ارْعَوى ظالمٌ .. أو رَقَّ أشـرارُ
حتى المهيضَةُ .. وهيَ الأمُّ جاهدةٌ
تلقى العذابَ .. وفي العَيْنيْن إصرارُ
فياسُـــــميَّةُ .. ياأُمّاً غدتْ مثَلاً
للأُمّهاتِ .. مدى الأجيـالِ تُخْتارُ
مارَفَّ مُنْتَســـمٌ .. أو راقَ مرتَبَعٌ
إلاَّ وذكرُكِ في الحالينِ : مِعْطارُ

ياآلَ ياســرَ .. في قلبي مواجعُكُمْ

لولم تكُنْ قـدَراً ، توليه أقدارُ

لقدْ ظفرتُـــمْ بأجْرٍ ليس يبلغُهُ

إلاّ المُصَفُّونَ : أبرارٌ وأطهارٌ

وها يَزُفُّ الرسولُ المصطفى خَبَراً :

[صبراً .. لكم جَنَّةٌ] بُشْرَاهُ إخبارُ!! (٥)

* * *

ألفيْتُنِي .. ياأبـــا اليقظانِ منفعلاً

فيما ارتقيتَ .. فلمْ تحجبْكَ أسوارُ

أتيتَ تصطرعُ الأحـداثَ ، تعجمُها

كأنَّما أنـــتَ للأحداثِ : بَتَّارُ

رأوكَ ، من سَفَهٍ ، مُسْتَضْعفاً ، وَنَعَمْ

مُستَضْعَفٌ .. إنَّما في الحقِّ : جبَّارُ

شَـــهِدْتَ بَدْراً .. ولم تَرْهَبْ مُنَازَلَةً

وكُنْتَ فيها : كما لو هَبَّ إعصارُ

وكان جارُكَ فـي صِـفِّينَ ، خاطَبَها

أَؤْسَ الرجال .. ونعمَ الأوسُ والجارُ!! (٦)

مَـنْ كانَ فـي التّابعينَ الغُرِّ : أوّلَهُم

لســـانُهُ ناطِقٌ بالـحقِّ .. أمّـــارُ

له الشهادةُ فـي صِـــــفِّينَ : مَنْقَبَةٌ

مُجاهِدٌ في ســـبيل اللّهِ .. مِغْوَارُ

كلاكما : شـــاهدٌ أدّى شَـــهَادَتَهُ

وإنها عندنا فـي الـحقِّ : مِعْيَــارُ

إذْ قيلَ : يقتُلكَ الباغي ، وطغمتُهُ

وما خشيْتَ .. وللتسـعين : أطوارُ (٧)

فَجِئْتَ صِفِّينَ : جـوَّالاً ، ومرتَغِباً

فحُصْحِصَ الحقُّ .. لاتلويـهِ أعذارُ

لو كان للّهِ في الإســــــلام أربَعةٌ

لكُنْتَ منهم .. وفي الأعداد : أسرارُ

* * *

عُذْراً إِلَيْكَ ، أبَا اليقظانِ إنْ شَرِدَتْ

بِي القوافـي .. فدون البـابِ أخطارُ

يهودُ خيـــبرَ .. أوْ أرهاطُ صهْيَنَةٍ

لم يَنْجُ من رِجْسِهِمْ ناسٌ وأحجارُ

عاثُوا فسَاداً .. فما أبقَوْا على حُرُمٍ

في بيت مَقْدَسِنَا .. [والحبْلُ جرَّارُ]

كَنِيسَـةُ المهْدِ .. لم يرعُوا قداسَتَها

ومســـجدٌ لصلاح الدِّيـنِ : منهارُ

وفوقَ هذَيْـــنِ : جُرْحٌ في ضمائِرنا

يزيــــدنا رَهَقاً .. والجرحُ : فوَّارُ

أمَا تبقَّى مـن الغزواتِ : خندقُها

لكي يُعيدَ بـها الكرَّاتِ : كرَّارُ ؟؟

يدكُّ (خيبرَ هــذا العصرِ) ثانيةً

كسالفِ الفَتْحِ .. طابَ الفتْحُ والثَّارُ (٨)

يُطهِّرُ الأرضَ من أرجاس عنصرهم

وتُمْلأُ الأرضَ أزهــــارٌ ، وأطيارُ

* * *

يارَقَّةَ الخيرِ .. ياروضاً تُخَيِّرَهُ

عمَّارُ مثْوى .. فنحنُ اليومَ : زُوَّارُ (٩)

نجثو .. ونلثُمُ أرضَ الصَّرْحِ تبركَةً

فكم تزورُ سماء الصَّرْحِ أنوارُ !!

صَرْحٌ لعمَّارَ .. مِمَّا قد يليقُ به

وحبَّذا لو رآه اليومَ : مهيارُ

لكان أبْدَعَ مِمَّا طابَ قافيةً

وكم لمهيارِ ممَّا طاب : أشْعَارُ !!

فَلْيَرْحَمِ اللهُ عمَّاراً ، وجيرتَهُ

لقد تهامى علينا : العطرُ والغارُ

* * *

---

(١) – عمَّار بن ياسر بن عامر ، قدم والده مكَّة من اليمن ، ومكث فيها ،
أمُّه : سُميَّة وهي ثالثتهم في الإسلام وأولهم في الشهادة ..
كنيته : أبو اليقظان .
أسلم عمَّار وصهيب في وقتٍ واحدٍ حينما دخلا على النبي (ص) وآله وسمعا كلامه ، وخرجا مستخفين ، فجاء إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا ، وهما من المستضعفين الذين لاقوم لهم بمكَّة ، ولا منعةً أو قوَّة ، فكانت قريش تعذّبهم بالرمضاء في أنصاف النهار ، ليرجعوا عن دينهم .

(٢) – من الشهير قول النبي (ص) وآلـه : (إنَّ عمَّـاراً جلـدةٌ مـابين عيني وأنفي) .

[رجال حول النبي – خالد محمد خالد – ص٢٠٣]

* * *

(٣) – الشهيدان : أبوه وأمه ، كلاهما استشهدا قبله ، حيـث عمَّـر أربعة وثمانين عاماً ، استشهد في معركة صفين (قتلته الفئة الباغية حسب ماوعده أو بشّره سيّده رسـول الله (ص) وآلـه بمقولته الشهيرة : (ياعمَّار تقتلك الفئة الباغية) .

* * *

(٤) – أذى المشركين لآل ياسر .. هذا البيت وما بعـده حتـى نهايـة الفقرة تضمينٌ لألوان عذاب المشـركين لهـم ، فعـن عمـر بـن ميمون : " أحرق المشركون عمَّـار بن ياسـر بالنـار ، وكـان رسول الله (ص) وآله يمرُّ به ، ويمرُّ يده على رأسه ، ويقول : (يانـارُ كونـي بـرداً وسـلاماً علـى عمَّـار كمـا كنـتِ بـرداً وسلاماً على إبراهيم) .

* * *

(٥) – مقولة النبيّ (ص) وآله ، وبصيغٍ متعـدِّدة منهـا : (صـبراً آل ياسر .. فإنَّ موعدكم الجنّة) .

* * *

(٦) – أوُيس القرني : قاتل مع عمَّار في صفّـين واستشـهد فيهـا عـام (٣٧) هـ ، وصلّى عليه الإمام عليّ ، ودفنه في أرضها .
وفي تاريخ دمشق لابن عسـاكر : أنَّ أويساً قـاتل بـين يـدي عليّ يوم صفين حتى استشــهد أمامـه ، فنظـروا ، فـإذا بـه نيفٌ وأربعون جراحاً .. وهو مَن كان يلقّب بصاحب القطيفة ، يتقلد بسيفين ويحمل مرماة ومخلاة من الحصى ، ويدعــو الله أن يرزقه الشهادة ، ثمَّ يبرز بين يدي أمير المؤمنين .

وفي حلية الأولياء بسنده عن أبي هريرة ، في حديث عن رسول الله (ص) وآله يصف فيه الأصفياء الأخفياء قلن يارسول الله، كيف لنا برجل منهم ؟

قال : (ذاك أويس القرني).

قلن : وما أويس القرني ؟

قال : (أشهل ذو صهوبة ، بعيد مابين المنكبين ، معتدل القامة ، آدم شديد القامة ، ضارب بذقنه إلى صدره ، رامٍ بذقنه موضع سجوده ، يتلو القرآن ، يبكي على نفسه ، ذو طمرين لايُأبه له ، متّزرٌ بإزار صوف ، مجهولٌ في الأرض معروف في السّماء ، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه..

ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعبّاد : ادخلوا الجنّة ، ويقال لأويس : قِفْ فاشفعْ.. فيُشفّعُه الله عزّ وجلّ في مثل عدد ربيعة ومضر).

وأويس لم يكن من الصحابة الذين شهدوا النبيّ (ص)، بل كان من التابعين، إنّما شهد له النبيّ نبوءة.

ومما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي نضرة عن أسيد بن جابر عن الخليفة عمر بن الخطّاب قال : سمعتُ رسول الله (ص) يقول : إنّ خير التابعين رجلٌ يُقال له أويس بن عامر.

وفي صحيح مسلم ثانية: أنّه سيّدُ التابعين.

ومما استدرك به الحاكم على الشيخين مسلم وبخاري وجعله في صحيحه : حديث طويل عن معرفة أويس لهرم بن حيّان ، وهو لم يره في حياته أو يسمع به.

وحين كان يُسْئل كيف عرفتَ ذلك ؟

فيقول : نبّأني العليم الخبير.

أخيراً : مما رثا به دعبل الخزاعي أويساً قوله :

أويسٌ ذو الشفاعة كان منّا

فيوم البعثِ نحنُ الشافعونَ

وهو بذلك يدلُّ إلى الحديث الآنف الذكر.

وبالمناسبة : عُرِفَ عن أويس أنه كان حكيماً وذا موعظة، وهو شديد التعلُّق والإقتداء بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام .. فليرحم الله أويساً.

* * *

٧) – الفئة الباغية : وتُسمَّى المقولة – الفصل ، حيث تعرَّف الناس على هويّة الباغي والظالم حينما استشهد عمَّار ، وقتله جنود معاوية ، حيث كان يقاتل مع الحقّ ، وهو بذلك قد نال شهادة رسول الله (ص) وآله الذي بدوره نال شهادة الله عزَّ وجلَّ ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى ﴾

* * *

٨) – إشارة إلى فتح حصن خيبر الشهير على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والذي كان ممتنعاً على غيره.

* * *

٩) – الرَّقة : بلدة في شمال سوريا من بلدات الجزيرة السورية على نهر الفرات ، حيث مدفن الصحابي الجليل عمَّار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه .

* * *

إلى مؤذّن الإسْلام ، ومزعج الأصْنام

معجزة الصّبْر ، والإيمان



رضي الله عنه

ألقيت في افتتاح

الندوة الدولية حول شخصيّة الصّحابي الجليل

مؤذّن الرسول(ص) بلال بن رباح(رض)

التي أقامتها المستشارية الثقافية

للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق

دمشق [١٥ - ١٦ / ٩ / ٢٠٠٢] م

[٩ - ١٠ / رجب / ١٤٢٣] هـ

بلال بن رباح

رضي الله عنه

أَمُوذِّنــــاً للمُصْطَفَـــــــى

بالرُّوحِ مِــــــنْ قَبْلِ الجَسَدْ

وَمُنادِيــــــــاً فـي الْمُصْطلَى

وَشَــواظِهِ : أَحَــدٌ .. أَحَدْ (١)

لاالصَّلْبُ في حَـــــرِّ الهجيـ

ـرِ .. ولا السِّياطُ .. ولا الزَّرَدْ

صَدَّتْكَ عـــن هـــذا النَّشــ

ـيدِ .. وقـــــدْ تفاعَلَ واتَّقَدْ

مَاخِفْتَ مِـــمَّا حَــــــا

قِـــدٌ مُتَرَبِّصٌ فيما حَشَـــدْ

ظَنُّوكَ بعضَ مَتَاعِـــــــهِمْ

فاسْـــترخصوكَ .. ولا الوَتَدْ

لكنَّهُمْ .. وَجَــدُوك أمْـ

ـنَعَ مِــنْ مُصَاوَلَةِ الأَسَدْ

ضاقُواْ بصبرِكَ .. واسْتَطَا

لَ اليَأْسُ فيهم .. واسْتَبَدّْ

وفَضَاءُ رُوحِكَ : يســتزيـ

ـدُ رَحَابَةً .. ليست تُحَدّْ

مَنَحَتْكَ أَنْـــوارُ العَقِيـ

ـدَةِ مِنْ مَشَارِقِهَا : الْمَدَدْ

فَأَقَمْــتَ معجزةَ التَّصَبُّـ

ـر .. كي يســودَ المعتَقَدْ

تَسْمُوْ المَوَاقِفُ : إنْ غَدَا

فيها اللَّظَى .. كالْمُبَتَرَدْ ! !

* * *

أَمُــؤَذِّناً لِلْمُصْـــــطَفَى

نِعْمَ الْمُسَـــمَّى .. واللَّقَبْ ! !

نَقَّبْتَ في كُلِّ البِـــــلا

دِ .. صِيَــــانَةً للمُرْتَقَبْ (٢)

وشَرُفْتَ فيـــما قد صَحِبْـ

ـتَ بِـهِ النَّبِيَّ .. ومَنْ صَحَبْ

وكَتَبْتَ سَـــطْراً في الجِهَا

دِ .. فصارَ : عِنْـوَانَ الحِقَبْ

يَمَّمْتَ وُجْهَتَكَ " المديـــــ

ـــــنةَ " يومَ أنْ عَزَّ الطَّلَبْ

ولَئِنْ لَقِيـــــــتَ : أُمَيَّةً

في يـوم بدرٍ .. واضْطَرَبْ (٣)

وخليلَهُ " ابْـــنَ أبي مَعِيـ

ـطَ ".. وقد تهَالَكَ ، وانْتَحَبْ :

أَشْفَـــيْتَ نَفْسَـــكَ منهما

وجعلتَ للّهِ : الغَضَـــــبْ

وَحَمَدْتَ أيّامـــــــاً رأى

فيـــــها العِدَاةُ الْمُنْقَلَبْ

فَحُبيتَ مَرْضَاةَ الرَّسُـــــو

لِ .. ونُصْرَةَ النَّهْجِ الأَحَـبّْ

وربحتَ – يابْنَ رَباحَ – أسـ

ـــمى ماتمنّـــاهُ العرَبْ

هـــــذي التجارةُ : لاتَبُو

رُ .. ودونَـــها كُلُّ الرَّتَـبْ

* * *

مَضَتِ السُّنُونُ .. وَجُبٌّ عَهْـ

ـدُ ، عُـدَّ فُسْـــقاً مُزْمِنا

أَذْرَى بـــهِ الفَتْحُ الْمُبيــ

ـــنُ .. وكانَ فَتْحاً بَيِّنَا (٤)

وَأَتَى النَّبِيُّ البيـــتَ ، بعـ

ـدَ الفتْحِ .. يَرْفُـــلُ بِالْمُنَى

ليقولَ : هَيَّـــا يابِـــــلا

لُ .. وَمِنْ على سَطْحِ البِنَا (٥)

فالكعبـــةُ الزَّهـــــراءُ : أَوْ

لَى بالطَّوالـــعِ .. والسَّـــنَا

[أَذِّنْ بِلالُ] .. وَيَصْدَحُ الصَّـ

ـوتَ الجَهُـــورُ مُؤَذِّنَـــا

[اللهُ أكبــرُ] .. تلكَ فا

تِحَةُ الهُدَى .. والْمُجْتَنَى

وسَرَى النَّسِـــيمُ : مُعَطَّرا

لَمَّا التَّشَــهُّدُ أُعْلِـــنا

هذا هُوَ التَّوْحِيدُ .. يُعْـــ

ـلَنُ مِنْ جدِيدٍ .. في الدُّنَى

طُوْبَى لِمَنْ أَدَّى الشَّـــهَا

دَةَ : مُخْلِصاً ، مُسْـتَيْقِنَا

ثُمَّ اسْـــتَقَامَ .. مُجَسِّـــداً

بســــــلوكِهِ ماعَنْوَنَـــا

حَسْبُ الرِّيَادَةِ .. أنْ يكو

نَ بها الْمُجَلَّى : مُؤْمِنَـــا

* * *

جَفَلَتْ شيوخُ الجهلِ .. مِـ

ـمَّا يَسْمَعُونَ .. ويَشْهَدُونْ ! ! (٦)

وَتَلَفَّتُوا يتسَـــــــــاءَلُو

نَ .. وفي الْمُسَـاءَلَةِ : الشُّجُونْ :

" عَبْدٌ .. يَسُـــودُ مُؤَمَّراً ؟؟

هــــذا الـــذي مالا يكونْ "

" وَيَصُبُّ فـي أســـــماعِنَا

ماقـد يُثيـــــرُ بنا الجُنونْ "

" لا .. لن نهونَ .. وليس نر

ضى .. لو تَفَقَّأَتِ العُيُــونْ "

وتناهَبُـــوا أشـــجانَهُمْ

ياسُـــــــوءَ مايتنَاهَبُونْ ! !

مُســــتحفزينَ لِطَمْسِ نُو

رِ " مُحَمَّدٍ ".. وهو الأمينْ

لكنْ .. أتـــمَّ اللّهُ نـــو

راً ، تستضيءُ بـه القُرُونْ

وجـــلا النفُّوسَ الغائِمَا

تِ بآيِ قرآنٍ مُبيـــــنْ

وَأُولوا الأمُورِ الآنَ : هُمْ

أولئـــكَ الْمُسْـــتَضْعفونْ

في ظلِّ إسْـــلامٍ حنيـ

ـفٍ .. ليس تَبْلُغُهُ الظُّنُونْ

يَسْمُو به الإنسانُ : حُرّ

اً .. رغم أَنْــفِ الظَّالِمِينْ

* * *

هَمَدَتْ رِيَاحُ الجاهليَّـــ

ـةِ .. وازدهى عَهْدٌ جَدِيدْ

وتَنَشَّـــــــرَتْ نَفَحَاتُهُ

لِتَطالَ آفاق البعيـــــــدْ

عَهْدُ السَّمَاحَةِ .. والإخَا

ءِ وليسَ ثَمَّةَ مِـــنْ مَزِيدْ

لافَضْــلَ إلاَّ بالتُّـــقَى

أو فَرْق إلاَّ بالحُـــــدودْ

حُرِيَّةُ الإنْسَانِ .. فـي

الإسْـــلامِ : إحْقَاقٌ أكِيدْ

وكذاكَ مَسْــأَلَةُ التَّعَلُّـ

ـمِ .. والتَّمَلُّكِ .. والعُقُودْ

بإطارِ : (لاضَرَرٌ هناكَ

ولا ضِرَارُ .. ولا وَعِيــدْ)

إذْ أنَّ جوهرَ شَـــرْعِهِ :

الإنسانُ .. لافَرْضَ القُيُودْ

ولأنَّـــهُ الأبْقَى : أتَى

مِنْ كُلِّ حِكْمٍ بالوَطِيـــــدْ

فمُحَالُ يقبــلُ بالهَجَا

نَـــةِ .. أو يُقيِّدُهُ الجُمُودْ

هذا هُوَ الإسْلامُ .. ديـ

ـنُ اللّهِ .. والفوزُ الأكِيـدْ

أو قُلْ : هو التوحيدُ .. يغـ

ـمرُ بالهُدَى هـذا الوجُودْ

* * *

ياعالَمَ الإسْـــــلامِ أَقْـ

ـعَدَكَ الشِّـــقَاقُ عَنِ العُلَى

وَقَبُولُكَ العصبيَّـــــةَ الـ

ـجُوفَـــاءَ : أفقدكَ الوِلا

فَغَدَوْتَ مُنْفَعِلاً بأحــــــ

ـداثِ الدُّنَى .. لافاعِـــلا

بعضٌ مِنَ التأويلِ : (أنـ

ـزل مــن عُلاهُ .. الْمُنْزَلا)

وغَرَقْتَ في جَدَلٍ عَقِيــــ

ـمٍ .. صُرْتَ فيــهِ الْمُشْكَلا

وتَغَرَّبَ النَّصُّ القويـــــ

ـمُ .. أمامَ مجتهدٍ غَــلاَ !

لاكان مِنّا .. مَـــنْ يَرى

غَيْــرَ السَّـــــمَاحَةِ .. مَنْهَلا

اللّهَ !! ماأشـــقى الذيـ

ـن تباغضوا في (اللّا) و (لا)

فيما العدوُّ ، وَرَهْطُــــــهُ

سَـــرَقُوا الضُّحَى ، والجدولا

أبناءُ صهيــــونَ اليهو

دِ .. وقــــــد أَصَابُـوا مَقْتَلا

فاســـــتيقظي ياأُمَّةَ الـ

إسْــــلامِ .. فَجْرُكِ أَقْبَــــلا

ورحابُ مجدِكِ .. لم تَزَلْ

تَتَنَظَّرُ الْمُسْتَــــــــــقْبَلا

* * *

ياحِقْبَةً سَـــمِعَتْ صَدَى

(اللّهُ أكبُر) مـــن بِلالْ

إنِّي لأسْــــألُ آمِـــلاً

أنْ لايضيقَ بي السُّـــؤَالْ

ولعلَّـــهُ حُلُمٌ .. وأجـ

ـملُ أن يكونَ مـــن الْمُحَالْ

هَلاَّ يعودُ بنا الزَّمـــــا

نُ .. ولو على جُنْحِ الخَيَالْ

يأتي .. بلالُ مُؤَذِّنـــــاً

فيما تُدَكُّ بــــــه الجِبَالْ

" يامسلمونَ .. إلى مَتَى

هـذا التَّناحَرُ ؟ والجِدَالْ ؟

" باتَتْ لِفَرْطِ جَهَالَـــةٍ

تَقَعُ النِّبَـالُ على النِّبَالْ

" يامســـــلمونَ تَنَبَّهُوا

فالغافـــــلون إلى زَوَالْ "

" فتعَاضَدُوا .. وتَوَحَّدُوا

واستأصِلُوا الدَّاءَ العُضَالْ "

" وتعاونوا في البِرِّ والتّـ

ـقْوَى .. وَخَلُّوا الإنْعِزَالْ "

وتفيقُ دُنْيَا المســـلميـ

ـنَ .. يَرُجُّهَا هـذا المَقَالْ

وَنَرَى الحُمَاةَ المخلصيـ

ـنَ : تكفَّلُوا هـــذا المآلْ

* * *

أبلالُ .. ياذا السُّمْرَةِ الـ

ـعرباءِ .. والجسمِ النَّحِيلْ

أكّدْتَ نَهْجَــكَ بانتما

ئِكَ للأصَــالَةِ ، والأُصُولْ

وَوَصَلْتَ حَبْلَكَ بالجِهَا

دِ .. وما يَجُدُّ .. وما يَؤُولْ

فَهَوَتْكَ نَجْدٌ .. والرُّبَى

وشِــعَابُ مَكّةَ ، والنَّخِيلْ

وتَأَوَّدَتْ سَــــعَفَاتُهَا

واشْــــتَاقَكَ الظِّلُّ الظَّلِيـلْ

تأتي : فيبتسمُ النَّبِيـ

ـيُّ رِضَىً .. لِمَقْدَمِكَ النَّبِيلْ

إذْ كُنْتَ أَصْبَرَ مَنْ تَعَرَّ

ضَ للأذَاةِ .. ولا مَثِيـــــلْ

وعَلِيٌّ .. إمَّا قــد ذُكِرْ

تَ : جَلاكَ بالذِّكْرِ الجَمِيلْ

وكذا إذا الفَاروقُ جَـا

ءَكَ – وهو ذو الباعِ الطويلْ –

حَيَّا .. وسَـلَّمَ قائِلاً :

أهـــــلاً بسيِّدِنَا الجَلِيلْ (٧)

ورِفَاقُ دَرْبكَ في الجِهَا

دِ : رَاؤُكَ كالسَّيْفِ الصَّقِيلْ

وكفاكَ : أنْـــكَ للإِ

لهِ .. وللرِّسَالةِ .. والرَّسُولْ

* * *

ياســـيِّدي .. ذا مِهْرَجُا

نُكَ في الشَّــآمِ .. وقد بَدَا :

إطلالةً .. تســـترجعُ الـ

ـذِّكرى .. وتَغْشَى الْمَشْهَدَا

بلْ : موسِمٌ .. حفلَتْ به

أصــداءُ ذكركِ .. فاغْتَدَا :

أَغْنَى الْمَوَاسِمِ .. كُرِّمَتْ

بِرِحَابِـــــهِ : قِيَمُ الفِدَى

عَادَتْ بكَ الأيَّامُ : تجـ

ـلو رَجْـــعَ قافلةِ الصَّدَى

وَأَرَاكَ مثلَ الـــدُّرِّ .. لم

تَصْدَأْ بِأَوْدِيَـــــةِ الرَّدَى

يمضي الكثَيفُ ، وما إليـ

ـهِ .. إلى الذي منهُ ابْتَدَا

أمّـا اللّطيفُ : يَظَلُّ مِثْـ

ـلَ السّـــاطِعَاتِ مُجَرّدَا

حاشَا لِمِثْلِكَ .. أنْ تُغَيـ

يّبَهُ الدُّهُـــورُ .. وَتُبْعِدَا

مُتَألّقـــاً .. تبقى على

مَـــرٍّ الضُّحَى .. مُتَجَدِّدَا

فَلأَنْتَ مَـنْ حُبِيَ الخُلُو

دَ : مُكَرّمـــاً .. وَمُمَجّدَا

فالسّـابِقُونَ : السّابِقُو

نَ .. ونعمَ ذا البُشْرَى غدَا (٨)

* * *

في الشّـامِ : قَبْرُكَ بالذي

سَمُّوهُ بـ " البابِ الصَّغِيرْ " (٩)

ذاكَ الذي أضحى جـديـ

ـراً أن يُسَمَّى بـ " الكَبِيرْ :

وأرَاهُ أجــــــدرَ أنْ يُقَا

لَ لهُ " الْمَقَامُ " وَنَسْتَجِيرْ

تَزْهُـو .. وتبتهجُ الحدا

ئِـقُ .. إذْ تَمُرُّ بها الطُّيُورْ

وَتُشَـــــــدُّ أَعْيُنُنَا إذا

مالاحَ ظـِـلٌّ .. أو غديرْ

وَلأنْـــتَ : أعظمُ منهما

فإليــــكَ ينشدُّ الضَّمِيرْ

حَقّاً .. مُقَامُكَ .. يابِلا

لُ .. بأرضِنَا .. شَرَفٌ وَخَيرْ

وَنَعيــشُ ذِكْرَاكَ الطَّهُو

رَةَ بالمباهـــــــجِ .. والسُّرُورْ

ويَظَلُّ إسْـــــمُكَ عابِقاً

أبَداً على شَـــــــفَةِ العُصُورْ

ولَئِنْ شَـــعَرْتُ بغِبْطَةٍ

وأتَجَّ دَرْبِي بالعبيـــــــرْ :

فَلأنَّنِي أَهْدَيْتُ شِـــعْـ

ـرِي للمناســـــبَةِ الطَّهُورْ

فَاقْبَلْ هَدِيَّـــةَ خَاطِري

طِيْباً على طِيـبٍ .. ونُورْ

* * *

(١) – أحدُ أحدْ : عبارة بلال حين كان يعـذب ، ورغـم محـاولات معذّبيه وفي مقدمتهم أميَّة بن خلف لم يكنْ ينطق إلاَّ بتلك العبارة ، ويقولون له : قلْ كما نقول فنرحمك .

فيقول : إنَّ لساني لايحسنه .
وبلال بن رباح من السبعة الأوائل الذين أظهروا الإسلام ، وقد اشتراه الخليفة أبو بكر ثمّ أعتقه ، وهو من المستضعفين .
أمّه : حمامة ، وكانت لبعض بني جمح .

***

(٢) – إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فنقبوا في البلاد هل من محيص ﴾

***

(٣) – هو أميَّة بن خلف ، وصديقه ابن أبي معيط الموكلان بتعذيبه ، حيث أن بلالاً قد لمح أميّة يحتمي بعبد الرحمن بن عوف الزُّهري ويسير به إلى مكان الأسرى ، فصاح بلال قائلاً : (رأس الكفر أميَّة .. لانجَوْتُ إن نجا) .

[رجال حول النبي – خالد محمد خالد – ص٤٥]

***

(٤) – الفتح المبين هنا : هو فتح مكّة ، وهو نصرٌ من الله .

***

(٥) – الأذان : وقد أراده رسول الله (ص) وآله أن يكون من على سطح الكعبة ، ولأكثر من غاية .
في رواية القاسم بن عبد الرحمن : أنَّ أول من أذّن بلال .
وعن أبي مليكة قال : إنَّ رسول الله (ص) وآله أمر بلالاً أن يؤذن يوم الفتح على ظهر الكعبة ، فأذّن ، وكان الحارث بن هشام وصفوان بن أميَّة قاعدينْ ، فقال أحدهما

للآخر : أنظر إلى هذا الحبشي ، فردَّ عليه : إنْ يكرهه الله يغيِّره .

وفي رواية الواقدي : أنَّ بلالاً حين بلغ قوله : (وأشهد أن محمَّداً رسول الله) رفع صوته كأشدّ مايكون ، فقالت جويرية بنت أبيٍ جهل : قد لعمري رفع لك ذكرك .. فأمَّا الصلاة فسنصلّي ، ولكن والله لانحبُّ مَن قتل الأحبَّة أبداً .. وقد جاء أبي الذي جاء محمّداً من النبوَّة ، فردّها ولم يرد خلاف قومه .

***

(٦) – من مقالات أهل الجاهليّة وهم يسمعون مايسمعون : قال خالد بن سعيد بن العاص : الحمد لله الذي أكرم أبي ، فلم يدرك هذا اليوم .

وقال الحارث بن هشامٍ : واثكلاه .. ليتني متُّ قبل هذا اليوم ، فلا أسمع بلالاً .

وقال الحكم إبن أبي العاص : هذا والله الحدث العظيم ، أن يصيح عبد بني جمح بما يصيح به على بيت أبي طلحة بينما أبو سفيانٍ وهو شيخهم قال : أمَّا أنا فلا أقول شيئاً ، ولو قلتُ شيئاً لأخبرته هذه الحصباء .

***

(٧) – كان الخليفة عمر إذا ذكر أمامه الخليفة الأول قال : [ابو بكر سيِّدُنا ، وقد أعتقَ سيِّدَنا] يعني بلالاً.

[كتاب رجال حول الرسول – خالد محمَّد خالد]

***

(٨) – إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) الواقعة ﴾ .

* * *

(٩) – الباب الصغير : محلّة في دمشق ، معزوفة ، وفيها مقبرة شهيرة تحمل إسمها ، وقد تشرّفت بضمّ جثمان بلال إلى صدرها .

* * *

المحتويات

ooo



المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق

رابطة الثقافة و العلاقات الإسلامية